391

مكتبة الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع

روائع الأدب العالمى للناشئين

عالم رائع جديد

الدوس هكسلى

لوحة للفنان : محمود الهندى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

DR. AHMED MADY

مكتبتى
20

الدوس هكسلى
عالم رائع جديد
مكتبة الأسرة ١٩٩٩

Sun
16 aug 2009
Riyadh

المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل- للشاب- للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

Dr. Ahmed Mady

مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع 1999

١٠٠ قرش

مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشاب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

AM
24-8-1999
TANTA

عالم رائع جديد

دكتور
أحمد عبد الفتاح ناجي

الدوس هكسلى
ترجمة: الشريف خاطر
مراجعة: مختار السويفى

تم التحميل من
مكتبتي

مقدمـــة

هذه رواية شهيرة من أدب الخيـال العلمى .. مؤلفها هو الأديب والمفكر الانجليزى « ألدوس ليونارد هكسلى » الذى ولد بانجلترا عام ١٨٩٤ ومات عام ١٩٦٣ .

بدأ « هكسلى » حياته الأدبية بنظم الشعر .. ولكنه اشتهر بقصصه وروایاته التی وصف فیها المجتمع الانجليزى المعاصر وصفا تهكميا ساخرا من معظم عاداته وتقاليده الاجتماعية . وقد ظهر اتجاهه الساخر هذا فى عدد كبير من رواياته وقصصه القصيرة وفى كثير من مقالاته الأدبية والنقدية .

وتعد هذه الرواية من الأدب الساخر ، مثلها فى ذلك مثل « رحلات جليفر » للأديب « دين سويفت »

ورواية « كانديد » للأديب والمفكر الفرنسى « فولتير ». حيث يدور موضوع هـذه الأعمال الأدبية المشهورة حول « نقد المجتمع » والسخريـة بعاداته وتقاليده السيئة .

وقد نشأ « ألدوس هكسـلى » فى عائلة معظم أفرادها من العلماء المشهورين فى انجلترا .. ولذلك فقد تأثر كثيرا بالعلم فى معظم أعمـاله الأدبيـة .. وخصـوصا وانه كان يدرس الطب ويؤهـل نفسـه ليصبح طبيبا .

غير أن ميوله الأدبية والفلسفية تغلبت عليـه فى النهاية فانصرف الى دراسة التصـوف والفلسفة والابداع الأدبى .. وقد تأثر كثيرا بما حدث فى أوربا أثناء الحرب العالمية الأولى « ١٩١٤ـ ١٩١٨ » حيث شهد العالم حربا ضروسـا سقط فيها القتلى ودمرت فيها الكثير من المنشآت الحضارية بسبب رغبة بعض الحكومات فى السيطرة والهيمنـة وفرض النفوذ .. وحيث أصبحت النظم السياسـية فى مختلف الدول تفرض سيطرتها على الأفراد ، بل وتفرض عليهم أيضا

طرقا للتفكير وسبلا للحياة الاجتماعية قد لا يرتضيها معظم هؤلاء الأفراد .. وحيث أصبحت الشعوب فى النهاية تحت سيطرة وتوجيه الحكومات .

وفى رواية « عالم رائع جديد » يتخيل « هكسلى » ما سوف يحدث فى المستقبل ، أو بعد ستة قرون .. تخيل أن القيم الانسانية ستختفى ، بل وسوف تصبح من الرذائل الممقوتة .. وستتغير المشاعر الانسانية .. والنظم الاجتماعية كالأسرة والزواج الشرعى .. وسوف يتم صنع الأطفال فى الأنابيب والزجاجات .. وتصنيفهم حسب احتياج المجتمع .. وستحل المواد الصناعية بدلا من المواد الطبيعية .. وستضع النظم الحكومية فى المستقبل الخطط اللازمة لازالة المعاناة عن الناس .. وستحدد لهم طرق تفكيرهم بحيث تتلاشى الارادات الفردية والأفكار الخاصة بشخصية الانسان الفرد.. وستمحى

من ذاكرة الفرد كل ما يحس به من عواطف انسانيـة كالفرح والحزن .. بل سيصبح العالم عالمـا ماديـا تختفى منه الحرية الشخصية .

وتهدف هذه الرواية الى السخرية بهذا العالم المستقبلى الجديد .. وتحذرنا أيضـا من هذا الخطر الذى ستتعرض له الانسانية .

« رئيس التحرير »

الفصـــل الأول

مبنى رمادى منخفض ، يتكون من أربعة وثلاثين طابقا فقط . فوق المدخل الرئيسى لافتـــة كتب عليها « **مركز لندن الرئيسى للتفريخ والتكيف** » وكتب داخل برواز زجاجى شـــعار الدولة العالمى ، « **اشـــتراكية عدالة ، استقرار** » .

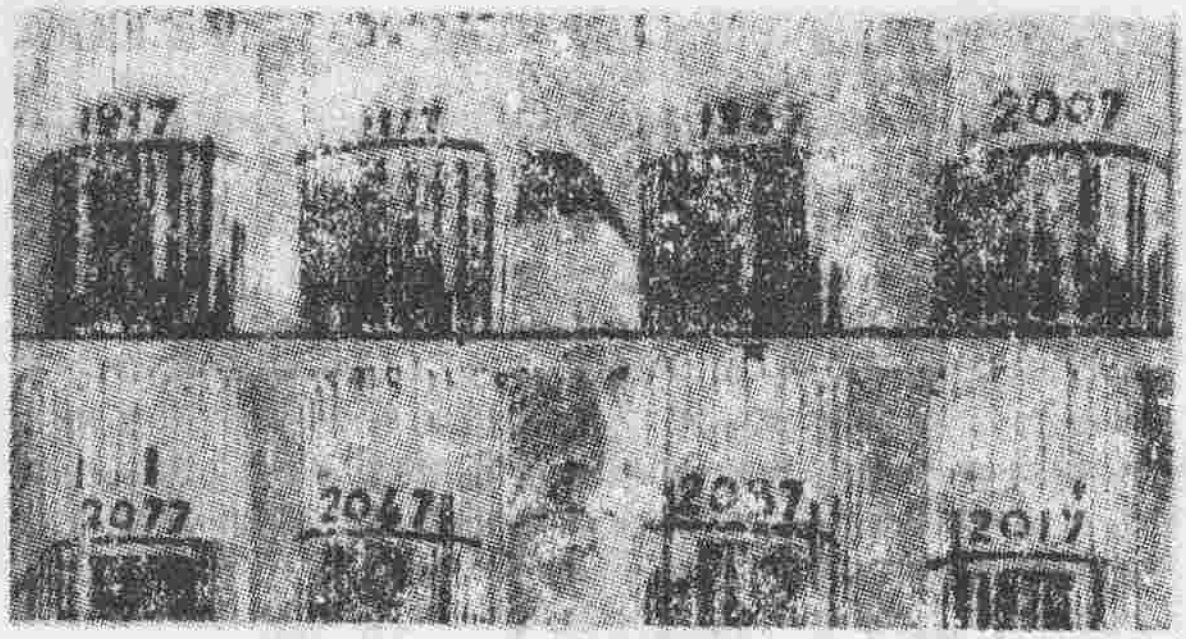

تم التحميل من مكتبتي

كانت القاعة الفسيحة بالدور الأرضى تواجه الشمال . كان الجو باردا بالخارج رغم فصل الصيف، ورغم ارتفاع درجة حرارة القاعة نفسها ، فقد كان هناك شعاع رفيع غير مريح يخترق النوافذ . ويسقط على الزجاج والمعدن اللامع وعلى الأسطح البيضاء اللامعة الباردة للمعمل . كان الاحساس بجو الشتاء قويا فى المكان . وكانت الملابس التى يرتديها العمال بيضاء ، والقفازات التى يلبسونها فى أيديهم من مطاط شاحب ، بلون وجه رجل ميت . أما الاضاءة ، فكانت جامدة ، لا حياة فيها ، شاحبة . فيما عدا قدرا من الثراء والحيوية ، كانت تقترضه من قواعد الميكرسكوبات الصفراء الممتدة بمحاذاة الأنابيب اللامعة مثل الزبد ، والتى تسطع فى صفوف على طول مناضد المعمل .

قال المدير وهو يفتح الباب : « وهذه هى الحجرة التى تخصب فيها البويضات » .

هب ثلاثمائة عامل وقوفا بينما كانوا منحنين على أدواتهم منهمكين فى عملهم فى صمت ، عندما دخل

مدير التفريخ والتكيف . يتبعه مجموعة من الطلاب الصغار قليلو الخبرة ، وصلوا حديثا ، كلهم قلق وتعاسة . يحمل كل منهم دفترا يدون فيه ما يقوله الرجل العظيم بسرعة . كانت المناسبة غير عادية . لأن فرص الاستماع الى مدير مركز التفريخ والتكيف المركزى بلندن ، عن سير العمل كانت نادرة ، لكنه كان يصر دائما على أن يصحب الطلبة الجدد شخصيا فى جولة بالأقسام المختلفة .

وكان يبرر ذلك بقوله : « لمجرد أن اعطى لكم فكرة عامة » . فلابد بطبيعة الحال من الحصول على فكرة عامة . ليتسنى لهم أن يؤدوا عملهم بوعى ، حتى ولو كانت فكرة بسيطة ، اذ من المفترض أن يكونوا أعضاء فعالين وسعداء فى المجتمع . أما بالنسبة للتفاصيل ، كما يعرف الجميع ، فهى تؤدى الى الفضيلة والسعادة ، أما الأفكار العامة ، رغم أهميتها لبعض الأعراض ، الا أنها خطيرة . والمجتمع الآمن الفعال يعتمد على العاملين ، لا على المفكرين .

ويضيف المدير بنبرة يختلط فيها الود والحزم :
« وغدا سوف تستقرون فى أعمال مهمة . ولن يكون لديكم وقت للأفكار العامة . فى حين أن ... » .

ولقد كانت كلمة فى حين أن فرصة للطلبة ، حيث كانوا يدونون ملاحظاتهم بسرعة وبقدر ما يستطيعون ، من فم المدير مباشرة فى دفاترهم .

تقدم المدير داخل القاعة وهو منتصب القامة ، رغم أنه طويل ونحيف . له ذقن مدببة ، وشفتان مقوستان غليظتان ، تغطيان أسنانه العريضة ، عندما لا يتكلم . هل هو عجوز ، أم شاب ؟ عمره ثلاثون ؟ أم خمسون ؟ أم خمسة وخمسون ؟ .. كان من الصعب طرح هذا السؤال ، خاصة فى عام الاستقرار هذا . عام ٦٣٢ أ. ف ، بعد ظهور الفوردية .

ـ « سوف أبدأ من البداية » ، قال مدير التفريخ والتكيف ، ودون التلاميذ المجتهدون هذه العبارة فى دفاترهم : « سأبدأ من البداية » **واستطرد قائلا :**
« هذه هى الحضانات » وفتح بابا صمم خصيصا

ليمنع تسرب الحرارة ، وأراهم صفوفا من الأرفف بها أنابيب اختبار عليها أرقام . **وقال** : « هذا أسبوع جمع البويضات حيث تحفظ فى درجة حرارة الدم ، بينما عناصر الاخصاب الذكرى » ، وعندئذ فتح بابا آخر **وقال** : « يجب أن تحفظ فى درجة حرارة قدرها ٣٥ ، بدلا من ٣٧ . لأن درجة حرارة الدم من الممكن أن تفسد قدرتها الاخصابية » .

وبينما الأقلام تتسابق فى تدوين ما يقوله على صفحات دفاترهم ، أعطاهم وصفا مختصرا عن سير عملية الاخصاب الحديثة ، تحدث أولا ، بالطبع ، عن العملية اللازمة لبدايتها « ولقد تم تقبل هذه العملية عن طيب خاطر لمصلحة المجتمع ، ولا يمكن أن نغفل أن من يعتمد عليهم فى هذه العملية يصرفون أجر ستة أشهر ، بمثابة أجر اضافى » ثم وصف كيفية المحافظة على البويضات حية بعد خروجها من الجسم وتنميتها ، وذكر اسم السائل الذى تحفظ فيه حتى يتم نضجها ، ثم قاد الطلبة الى مناضد العمل ، وأراهم كيف يؤخذ هذا السائل من أنابيب الاختبار ،

وكيف يفحص نقطة نقطة على شرائح زجاجية دافئة تحت الميكرسكوبات ، وكيف تفحص البويضات للتأكد من صلاحيتها ثم يتم حصرها ، ونقلها بعد ذلك الى وعاء ، (فى هذه اللحظة اخذهم ليراقبوا العملية)، وتغمر داخل محلول دافىء تسبح فيه الحيوانات المنوية بحرية ـ حيث يوجد على الأقل مائة ألف منها فى كل مليميتر من المحلول ، ثم بعد عشر دقائق يرفع الوعاء من المحلول ، وبعد ذلك يتم اعادة البويضات المخصبة الى الحضانات . وتظل فصائل الألفا والبيتا حتى تعبأ بصفة نهائية داخل زجاجات ، أما فصائل الجاما والدلتا والابسيلون ، وهى فصائل أدنى ، فيتم استخراجها من الحضانات مرة أخرى ، بعد مضى ست وثلاثين ساعة فقط وتعالج بطريقة بوكانوفسكى (*) .

(★) بوكانوفسكى : اسم روسى مخترع استعمله المؤلف ليذكرنا بأعمال العالم الروسى ايفان بتروفتش بافلوف (١٨٤٩ ـ ١٩٣٦) صاحب التجربة المشهورة فى التحكم فى سلوك الكلاب .

« أما طريقة بوكانوفسكى » ، فتتلخص فى أن كل بويضة ينتج عنها جنين واحد ، انسان واحد ـ هذا هو الوضع الطبيعى ـ أما البويضة التى تعالج بطريقة بوكانوفسكى فتنقسم الى أجزاء عديدة ـ تتراوح ما بين ثمانية الى ستة وتسعين ، ويبدأ هذا الجزء فى التبرعم ليكون جنينا كاملا ، وينمو الجنين حتى يصبح انسانا كاملا . وبهذا يمكن انتاج ستة وتسعين انسانا بدلا من واحد . انه التقدم !

لكن واحدا من الطلبة كان من الحماقة بما فيه الكفاية وسأل عما يميز هذا الأسلوب فى انتاج البشر ، عن الأسلوب الطبيعى .

فالتفت المدير بحدة وحملق فيه وقال :
« يابنى العزيز ! ألا تدرك ؟ ألا تدرك ؟ . ان طريقة بوكانوفسكى واحدة من الطرق الأساسية لضمان استقرار المجتمع » ؟ !

استقرار المجتمع . بمعنى أن يكون هناك رجال ونساء لهم صفات وخصائص واحدة . فجميع عمال

مصنع صغيرهم نتاج بويضة واحدة عولجت بطريقة بوكانوفسكى .

وقال المدير وهو يهز رأسه : « لو أمكننا أن نعالج جميع البويضات بطريقة بوكانوفسكى دون حدود ، لاستطعنا حقيقة ولأول مرة فى التاريخ أن نصل الى تحقيق أهدافنا ، الاشتراكية ، العدالة ، الاستقرار . لكن لسوء الحظ لا نستطيع أن نفعل ذلك نهائيا .. ستة وتسعون هو الحد الأقصى ، أما المتوسط المعقول فهو اثنان وسبعون » .

وتصادف مرور شاب شعره جميل ، رآه المدير **فنادى عليه :**

ـ « يا سيد فوستر » .

فاقترب السيد فوستر .

ـ « أرجو أن تنضم الينا وتعطى هؤلاء الأولاد بعضا من خبرتك المستفادة ، بأن تشرح لهم العمليات التى تمر بها الأجنة » .

وابتسم السيد فوستر ابتسامة متواضعة وقال : « بكل سرور » . ثم انصرفوا .

كانت غرفة تعبئة الزجاجات تتسم بالحيوية والنظام . حيث توجد مصاعد صغيرة تحمل قطعا من اغشية امعاء الخنازير تأتى بها من مخزن الأعضاء وتستعمل بمثابة رحم . وعندما تفتح أبواب المصعد ، فما على العامل الا أن يمد يده ويأخذ قطعة من الغشاء ، ويضعها داخل الزجاجة ويعيدها الى مكانها برقة . وقبل أن تبتعد الزجاجة عن متناول يد العامل فوق السير المتحرك ، تصل قطعة أخرى من أسفل توضع فى زجاجة أخرى وهكذا ، تأتى التى تليها وتمضى هذه العملية ببطء ، ولا تنتهى طالما يتحرك السير .

والآن نأتى للعملية التالية . عند سير الزجاجات فوق السير المتحرك ، تقوم مجموعة أخرى من العاملين بعمل فتحة صغيرة فى كل قطعة غشاء وهى تمر أمامهم داخل الزجاجة التى تحتويها ، ويسقطون من الفتحة بويضة تؤخذ من أنابيب الاختبار ، يزحلقونها برقة الى الداخل ، ثم يصبون محلولا ملحيا يقوم بالتغذية . .

وبعد أن يتم ذلك تنتقل الزجاجات الى الغرفة التالية . حيث يكتب تاريخ التعبئة وكل التفاصيل الضرورية عن محتويات الزجاجة ، من الخارج .

ومروا عبر غرفة تخزن فيها كل التفاصيل المدونة . وهذه التفاصيل يستخدمها المسئولون الرسميون لحساب الأعداد المطلوبة من كل فصيلة يحتاجها المجتمع فى أى وقت . ومن هنا يرسلون الأعداد المطلوبة لحجرة الاخصاب ، التى يتحتم عليها أن تمدهم بالأجنة التى طلبوها .

فتح السيد فوستر بابا ، يؤدى الى حجرة أسفل مستوى الأرض ، حارة جدا ، ولا يدخلها ضوء النهار على الاطلاق . والضوء الوحيد الموجود ، ضوء صناعى ، أحمر شاحب .

وقال السيد فوستر وهو يبتسم لنكتته :
« الأجنة مثل أفلام التصوير ، لا تتحمل سوى الضوء الأحمر » .

هذا المكان هو الذى يحدد فيه الجنس والفصيلة الاجتماعية لكل الكائنات البشرية القادمة . وأشار الى ثلاثة صفوف من الأرفف فوق بعضها . وعبر هذه الأرفف ، تمر الزجاجات بمراحل المعالجة المطلوبة قبل أن تخرج الى ضوء النهار وتتحول محتوياتها من حالة الأجنة الى كائنات حية . والوقت اللازم لاتمام هذه العملية حتى تكتمل مائتان وسبعة وستون يوما .

وقال السيد فوستر بنوع من الرضا : « لكننا استطعنا خلال ذلك الوقت أن ننجح فى انتاج الكثير منهم .. كمية كبيرة جدا » .

وأثناء تجوالهم وصف لهم الطرق المختلفة للمعالجات ، طبقا للجنس الذى سيكون عليه الجنين والمكانة التى سيشغلها فى المجتمع . وقال للطلبة كيف أن الأطفال يخرجون بعد هذه المراحل مصنفين سلفا مثل فصيلة « ألفا » أو « ابسيلون » التى يمكن أن تتولى العمالة فى المصانع مستقبلا ، أو كحكام مستقبليين .. « حكام مستقبليين للعالم » كان سيقول

ذلك ، لكنه صحح خطأه وقال بدلا من ذلك : « مديرو المراكز مستقبلا » .

وابتسم المدير لهذه المجاملة .

أصبح مستر فوستر عمليا جدا أثناء شرحه . فوصف كيف تنمو الأجنة فى المحلول الثرى بالغذاء الذى يحل محل الدم . وأراهم كيفية التحكم فى الأوكسجين الذى يصل الى كل فصيلة من الأجنة حتى يمكن التوصل الى الدرجة الصحيحة اللازمة للنمو بالنسبة للمخ والجسم ، لكل نوعية من النوعيات . وتوقف عند رف يحمل أجنة تجهز للعمل فى المناطق الحارة أو فى مصانع الحديد والصلب حيث الحرارة العالية لازمة . حيث تمر الأجنة خلال نوع من الأنابيب تتعرض بدورها للحرارة ، ثم لنوع فظيع من البرودة ، من وقت لآخر ، وعندما يحين الوقت لخروجهم من الزجاجات ويصبحون أطفالا يحبون الحر ويخشون البرد . وفيما بعد يكون تفكيرهم انعكاسا لما تشعر به أجسادهم . **وأنهى السيد فوستر كلامه بقوله** « نحن ندربهم على الاحتياج

للحرارة لنموهم الجسدى ، والممرضات بالدور العلوى سيعلمونهم حب الحرارة » .

وأضاف المدير بوفار : « وهذا ، هو سر السعادة والفضيلة .. أن تحب ما ينبغى عليك عمله . كل تدريباتنا تهدف الى ذلك ، أن نجعل الناس تحب مواقعهم الحتمية فى المجتمع » .

وفى مكان ما بين أنبوبتين كانت هناك ممرضة تقوم بعملية حساسة للغاية بابرة لمحتويات احدى الزجاجات العابرة . ووقف الطلاب ومرشدهم يراقبونها لعدة لحظات فى صمت .

وعندما انتهت من عمليتها وسحبت الابرة أخيرا من الزجاجة ، واعتدلت فى وقفتها **قال لها السيد فوستر** : « حسن ، ياليننا » .

فالتفتت الفتاة وقد أخذت . وبالرغم من الاضاءة الحمراء المعتمة ، كان بامكان المرء أن يرى كم هى جميلة جدا ! .. وفتر ثغرها عن صف أسنان كاللؤلؤ .

سألها السيد فوستر بنبرة استاذ محترف :

ـ « بماذا تحقنين الأجنة » ؟ .

« أوه . أحقنها بالمضاد العادى للحمى الاستوائية ومرض النوم » .

وشرح السيد فوستر للطلاب ذلك بقوله :

« العمال الذين سيعملون فى المناطق الاستوائية تبدأ معالجتهم فى هذه المرحلة حتى يقاوموا الأمراض الاستوائية .

ثم التفت الى لينينا وقال لها : « موعدنا فى الخامسة الا عشر دقائق بعد الظهر على السطح ، كالمعتاد » .

قاد السيد فوستر الطلبة الى رف آخر حيث يوجد صفوف من الجيل القادم من العمال الكيماويين، يتم معالجتهم لتحمل أخطار كميات الرصاص الكبيرة والمواد الأخرى المضرة بالصحة .. وعلى رف آخر كانت توجد المجموعة الأولى المكونة من مائتين وخمسين مهندسا متخصصا فى اصلاح الطائرات

الصاروخية فى المستقبل ، وقد وصلوا على السير المتحرك الى نقطة معينة ، حيث تشرع آلة معينة فى جعل الزجاجات تدور حول نفسها بسرعة منتظمة .

وقال فوستر :

ـ « ذلك لتحسين احساسهم بالتوازن . فاصلاح الصواريخ أثناء طيرانها ليست بالمهمة السهلة . فنحن نقلل كمية بديل الدم عندما يكونون معتدلين ، فيشعرون بحالة من الجوع النصفى ، ونضاعف الكمية عندما يكون وضعهم مقلوبا . وبالتالى يحبب اليهم ان يكونوا فى وضع مقلوب مثل ذلك . وحقيقة ، فانهم يكونون سعداء جدا ، عندما يقفون على رؤوسهم » .

وواصل السيد فوستر حديثه قائلا : « والآن أود أن أريكم عملية تكيف طريفة جدا لفصيلة « ألفا » المضاف اليها عنصر الذكاء . ولدينا منها مجموعة ضخمة على الرف رقم ٥ ، من المستوى المتوسط » .

لكن المدير نظر الى ساعته وقال : « الثالثة الا عشرة ، ولا أعتقد انه يوجد وقت لمشاهدة الأجنة الذكية . اذ ينبغى أن نصعد الى أعلى ، الى قسم الرعاية قبل أن يستيقظ الأطفال من نوم ما بعد الظهر » .. !

الفصل الثانى

تركهم السيد فوستر عند باب حجرة تفريغ الزجاجات ، حيث تستخرج الأجنة من زجاجاتها ، لتجرى عليها كل المراحل المهمة ، مرورا بمرحلة تكيف الأطفال وهى المرحلة الحقيقية الأولى فى طريقهم الى الحياة ككائنات بشرية . واستقل مدير مركز التفريخ والتكيف هو وطلبته أقرب مصعد حملهم الى الدور الخامس . حيث توجد لوحة كتب عليها :

« **قسم رعاية الأطفال . حجرات التكيف** » .

فتح المدير الباب . فوجدوا انفسهم فى حجرة كبيرة واسعة ، مضيئة ومشرقة . الحائط الجنوبى كله عبارة عن نافذة واحدة . كانت هناك ست ممرضات ، يرتدين الزى الرسمى ، المكون من بالطو أبيض وبنطلون مصنوع من مادة صناعية ، وشعرهن

يختفى تحت طواقى بيضاء ، ويقمن بوضع أوعية كبيرة من الزهور فى صف طويل على الأرض .

وقفت الممرضات بلا حراك احتراما لدخول مدير مركز التفريخ والتكيف . **وقال المدير** : « أخرجوا الكتب » .

وفى هدوء فعلت الممرضات ذلك كما أمر المدير . ووضعن الكتب بين أوعية الزهور ، صف من كتب الأطفال الجذابة . فتحت على صفحات مصورة بألوان زاهية لحيوانات وطيور وأسماك .

ـ « والآن ، احضروا الأطفال » .

واسرعت الممرضات بالخروج من الحجرة ، وعدن خلال دقيقة أو دقيقتين ، وكل منهن تدفع عربة مكونة من أربعة أرفف فوق بعضها . كل رف كان محاطا بشبكة من السلك ، ومحملا بأطفال من سن الثمانية شهور ، يشبهون بعضهم تماما .

كان من الواضح . أنهم مجموعة من فصيلة

بوكانوفسكى ، وكلهم (طالما أنهم من رتبة دلتا) يلبسون ملابس من قماش كاكى اللون .

— « ضعوا الأطفال على الأرض » .

وأنزل الأطفال .

— « والآن أديروهم حتى يتمكنوا من رؤية الزهور والكتب » .

وأدير الأطفال . وعلى الفور بدأ الأطفال الزحف تجاه الكتب ، منجذبين بالألوان الزاهية والأشكال الجميلة . وبينما كانوا يتحركون ، كان ضوء الشمس يدخل المكان من خلف سحابة عابرة . فانعكست أشعتها على الورود والصور ، فزادتها نورا وجمالا . وتصايح الأطفال الزاحفون فرحا وابتهاجا !

فرك المدير يديه بنوع من الرضا . **وقال :** « رائع ، ربما يفى ذلك بالغرض » .

كان بعض الأطفال قد وصل فعلا الى الكتب . ولامست أيديهم الصغيرة دون ثبات ، الزهور

والصفحات الملونة الزاهية . وانتظر المدير حتى أصبح كل الأطفال منشغلين فى سعادة . ثم **قال** : « راقبوا بعناية » . ورفع ذراعه وأعطى اشارة .

فضغطت رئيسة الممرضات على مفتاح ، حيث كانت تقف فى الناحية الأخرى من الحجرة .

وحدث انفجار عنيف . فلقد دقت أجراس الانذار .

فصرخ الأطفال . وأصبحت وجوههم قبيحة ملتوية من أثر الرعب .

فصاح المدير بصوت عال جدا ، حتى يسمع وقال : « والآن ، سوف نجعل الدرس أكثر وضوحا باستعمال الصدمة الكهربائية المعتدلة » .

ولوح بيده ثانية فضغطت رئيسة الممرضات على مفتاح آخر . فأصبحت صرخات الأطفال مذعورة، أقرب الى الجنون . وتيبست أجسادهم الصغيرة . وأخذت أطرافهم الصغيرة تتحرك فجأة حركات ميكانيكية وكأنما تجذبها أسلاك خفية .

وصاح المدير شارحا : « يمكننا أن نبث صدمات كهربائية خلال كل أجزاء الأرضية ، لكن ذلك يكفى » وأعطى اشارة للممرضة .

توقفت الانفجارات ، وسكتت الأجراس ، وتوقفت الأطراف الصغيرة عن الحركة ، وأصبحت صيحاتهم أقل رعبا .

قال المدير : « قدموا لهم الزهور والكتب ثانية » .

فأطاعت الممرضات ، لكن مجرد رؤية الزهور وتلك الصور المبهجة للحيوانات الأليفة ، جعلت الأطفال يتقهقرون فى رعب ، وبدأوا فى العويل بصوت عال جدا .

قال المدير وكله احساس بالرضا التام : « لاحظوا ذلك . لاحظوا ذلك » .

الكتب والضجة الشديدة ، الزهور والصدمات الكهربائية . لقد ترسخ هذا الارتباط بالفعل بين هذين

الشيئين ، فى ذهن الأطفال ، ومع تكرار الدروس ستصبح العلاقة مستمرة دون شك .

ـ « سوف يكبر الأطفال وفى اذهانهم ما يمكن ان يطلق عليه الكراهية « الطبيعية » للكتب والزهور . سيكونون فى أمان من الكتب والزهور طوال حياتهم » **والتفت المدير الى ممرضاته وقال :** « أعيدوهم الى اماكنهم » .

وحمل الأطفال الذين يرتدون الملابس الكاكية ، وهم ما زالوا يصرخون على أرفف العربات ، ودفعت الى الخارج ، مخلفين ورائهم رائحة لبن مخمر وهدوءا مريحا جدا .

ورفع احد الطلبة ذراعه ليسأل سؤالا . فقد اتضح له تماما عدم وجود اناس من مرتبة ادنى تضيع وقت الدولة فى قراءة الكتب ، كما أن هناك دائما مخاطرة بقراءتهم شيئا من الممكن أن يعكر تكيفهم بطريقة ما ، لكنه لم يدرك المبرر بالنسبة للزهور . فما هو الضرر الذى يمكن أن يحدث بالنسبة لفصيلة الدلتا لو احبوا الزهور ؟

شرح له المدير بصبر وروية . لو أننا جعلنا الأطفال يصرخون لمنظر الزهور ، فهناك دوافع اقتصادية من وراء ذلك . منذ فترة ليست بالبعيدة جدا (منذ حوالى قرن) كانت فصائل جاما ودلتا وحتى الأبسيلون تكيف لحب الزهور .. الزهور بصفة خاصة والطبيعة البرية بصفة عامة . كان الهدف من ذلك أن يخرجوا الى الريف خلال أى فرصه ، ونتج عن ذلك استهلاكهم لوسائل النقل .

فسأله الطالب : « لكن ألا يستهلكونها بالفعل » ؟

فأجاب المدير : « الى حد كبير جدا . لكن لاشيء آخر » .

وأشار الى أن الزهور والمناظر الطبيعية ، تتسم بخطأ كبير ، تكسبهم الحرية . ان حب الطبيعة لا يسمح للمصانع بأن تكون مشغولة . لذا فقد تقرر استبعاد حب الطبيعة بين الطبقات الدنيا ، استبعاد حب الطبيعة ، وليس الاحتياج الى التنقل . لأنه كان

من الضرورى بالطبع أن يواظبوا على الذهاب الى الريف ، حتى لو كانوا يكرهونه . المشكلة كانت فى ان نجعلهم يستهلكون المواصلات لمبرر آخر أفضل من الناحية الاقتصادية من مجرد التأثر بمنظر الزهور والمناظر الطبيعية . لقد حلت هذه المشكلة .

وانهى المدير كلامة بقوله : « نحن نكيف الطبقات الدنيا لكراهية الريف ، لكننا فى نفس الوقت نكيفهم لحب كل رياضات الريف » .

وفى نفس الوقت نجعلهم متأكدين ان الرياضات الريفية تحتاج الى أجهزة مكلفة . ولهذا فهم يستهلكون المنتجات الصناعية تماما مثل وسائل المواصلات . وهذا هو سبب استخدام الصدمات الكهربائية .

قال الطالب ، باعجاب كامل : « فهمت » .

وبدأ المدير حديثه ثانية : « حدث ذات مرة ،

حينما كان الهنا (*) فورد لايزال على الأرض ، كان يوجد صبى صغير اسمه « روبين رابينوفتش » . كان ابنا لأبوين يتحدثان البولندية . أعتقد ، انكم تعرفون ما هى البولندية ؟

ـ « لغة ميتة ، مثل الفرنسية والألمانية » .
ـ « وكلمة ، والد » ؟

خيم صمت كئيب . وأحمرت وجوه العديد من الطلاب . فهم لم يتعلموا بعد الفن الصعب للتمييز بين اللا أخلاقية وبين العلم الخالص . وأخيرا انتابت واحدا منهم الشجاعة ليرفع يده . **وقال :** « اعتاد البشر على ان ... » ثم تردد . واندفعت الدماء فى وجنتيه ، ثم أكمل « حسن ، اعتاد البشر على أن ينجبوا أطفالهم بأنفسهم » .

(★) فورد على وزن لورد . وسترد كلمة فورد كثيرا فى سياق الرواية وهى تقليد لما يحدث فى المسيحية عندما نقول أوه لورد ، وتجىء هنا أوه فورد .

ـ « صحيح ، تماما » **وهز المدير رأسه .**

ـ « عندما كان الأطفال غير معبأين فى زجاجات ... » .

ـ « تقصد يولدون » **صحح له المدير** . وسكت الولد تماما ، واعتراه الضيق .

قال المدير : « باختصار ، الوالدان ، هما الأب والأم » . كانت هذه لغة صعبة ، حتى ولو كانت تستعمل استعمالا علميا وليس لمجرد كلام قذر . وسقطت الكلمات كالصاعقة فى هذا الصمت الثقيل . وكرر بصوت عال كلمة « الأم » متمحكا فى العلم ، وهو يتكىء على ظهر كرسيه **وقال :** « هذه حقائق غير مبهجة ، أعرف ذلك . والواقع ، أن أغلب الحقائق التاريخية كذلك » .

وعاد الى حكاية روبين . ذات ليلة نسى والده ووالدته (صدمة ! صدمة) أن يغلقا الراديو فى حجرة نومه .

(ويجب عليكم أن تتذكروا أن الأطفال فى تلك

الأيام كانوا يأتون من خلال والديهم ، وليس من مركز الدولة للتكيف) .

وبينما كان نائما بدأ ارسال راديو لندن فجأة . فى صباح اليوم التالى استيقظ روبين الصغير وأخذ يردد كلمات من كلمات المحاضرة الطويلة التى ألقاها الكاتب الساخر جورج برناردشو . وكانت صدمته (صدمة) فظيعة ! لأنه لم يستطع أن يفهم بالطبع كلمة منها . واعتقدوا أن طفلهم أصيب بالجنون فجأة وبعثوا لاحضار طبيب . وكان ، لحسن الحظ ، يفهم الانجليزية ، فتعرف على الحديث الذى كان قد سمعه فى الليلة السابقة ، فتحقق من اهمية ما حدث وأرسل خطابا الى جريدة طبية بخصوص هذا الموضوع .

« ومن هنا اكتشفت مبادىء التعليم أثناء النوم » **قال المدير ذلك بوقار ، ثم أردف :** « والآن تعالوا معى » .

وتبعه الطلاب الى مصعد آخر ، أقلهم الى الدور الرابع عشر .

وانبعث صوت هامس من مكبرات الصوت : « هدوء ، هدوء » وترددت نفس الكلمة « هدوء ، هدوء » من مكبرات صوت أخرى عبر الممر . وقد استجاب الطلبة وحتى المدير نفسه ، دون تفكير ، لهذا النداء ، وساروا على أطراف أصابعهم . لقد كانوا من فصيلة الألفا ، بالطبع ، لكن حتى فصيلة الألفا تكيفت تكيفا متميزا .

« هدوء ، هدوء » كان جو الدور الرابع عشر مفعما بهذه الأوامر الهامسة .

وفتح المدير الباب بحذر . ودخلوا حجرة ذات اضاءة معتمة . كان بها ثمانون سريرا صغيرا فى صف واحد مواجه للحائط . وكل ما كان يمكن سماعه ، تنفس خفيف منتظم وهمهمات متواصلة منخفضة ، وكأن أصواتا واهنة تتحدث برقة من مسافة بعيدة .

وقفت الممرضة عند دخولهم .

وسألها المدير بهدوء : « ما هو درس بعد ظهر اليوم ؟ » .

فأجابت الممرضة : « كان لدينا حصة فى الأربعين دقيقة الأولى عن المراحل الأولى للجنس ، أما الآن فنستمع الى حصة عن المرحلة الأولى للضمير » .

سار المدير ببطء عبر صف الأسرة الطويل . وبكل سرير طفل نائم . ثمانون طفلا وطفلة فى لون القرنفل ، وجوههم تنضح بالصحة يرقدون فى نعومة وسلاسة يتنفسون . وتحت كل وسادة كان هناك همس .

ـ « هل قلت الحصة الأولى فى الضمير ؟ دعيهم يعيدوها مرة أخرى ، بصوت أعلى قليلا من خلال السماعة » .

وفى نهاية الغرفة كانت هناك سماعة معلقة على الحائط . فاتجه المدير ناحيتها وضغط على مفتاح .

فانطلق صوت رقيق متميز جدا وقد بدأ من منتصف الجملة « ... كل الأطفال الذين يرتدون الملابس الخضراء ، والأطفال من فصيلة دلتا الذين

الى أقل درجات الهمس ولم يعد يسمع الا من خلال السماعات الموجودة تحت الوسادات الثمانين .

ـ « كل ذلك يردد على أسماعهم مائة وعشرين مرة ، لمدة ثلاثة أيام أسبوعيا ، خلال ثلاثين شهرا أثناء نومهم ، بعد ذلك يتلقون درسا أكثر تطورا . ان التعليم أثناء النوم من أفضل الوسائل الفعالة جدا بالنسبة للتعليم الاجتماعى عن أى وقت مضى فعقل الطفل يصبح هذه المعلومات ، وحصيلة هذه المعلومات تكون عقل الطفل . وليس عقل الطفل فقط . بل عقل الشاب كذلك .. طوال فترة حياته . العقل الذى يفكر ويرغب ويقرر . وكل هذه المقترحات مقترحاتنا نحن ! » .

وصاح المدير فى غمرة سعادته وقال : « مقترحات دولتنا » .

وحدثت ضجة جعلته يلتفت .

ـ « أوه ، فورد » !

وقال بنبرة مغايرة : « لقد أيقظت الأطفال ! » .

يرتدون الملابس الكاكى . أوه كلا . أنا لا أريد أن ألعب مع أطفال دلتا . لأن أطفال ابسيلون مازالوا سيئين . . انهم أغبيـاء جـدا حتى يستطيعوا تعـلم القـراءة والكتـابة . بالاضـافة الى انهم يرتدون المـلابس السوداء ، وياله من لون قبيح للغاية . أنا فى منتهى السعادة لأننى من فصيلة بيتا » .

وحدثت فترة صمت ، ثم بدا الصوت ثانية :

« أطفال ألفا يرتدون مـلابس رماديـة . انهم يعملون أكثر مما نقوم به نحن ، لأنهم مهرة جدا . وأ حقيقة فى منتهى السعادة ، لأننى من فصيلة بيتـا ولأننى لا أقوم بعمل شاق . بالاضـافة الى أننـ أفضل كثيرا من فصيلتى جاما ودلتا . فالجاما أغبياء . يرتدون الملابس الخضراء . وأطفال الدلتـا يرتدون الملابس الكاكى . أوه ، كلا . لا أريد اللعب مع أطفال دلتا . كما أن الابسيلون أغبياء .

وخفض المدير درجة الصوت ، فوهن الصوت

الفصل الثالث

دقت الأربعة آلاف ساعة الكهربائية الموجودة فى الأربعة آلاف حجرة ، معلنة الرابعة ، وصدر الأمر التالى من خلال مكبرات الصوت :

« انتهت وردية العمل اليوم ، وعلى الوردية الثانية أن تقوم بالعمل . انتهت وردية العمل اليوم ... » .

خرجت لينينا كراون من معملها المضاء باضاءة حمراء ، وصعدت الى الدور السابع عشر ، واتجهت يمينا بعد خروجها من المصعد ، وسارت عبر ممر طويل ، وفتحت بابا عليه لافتة مكتوب عليها « حجرة ملابس البنات » ، واتجهت الى دولاب عليه اسمها ، معلق فيه ملابسها الخارجية . خلعت زى العمل ، وتناولت منشفة وذهبت الى الحمام . هناك حيث

تم التحميل من مكتبتي

كانت تتدفق المياه الساخنة من مئات الحمامات . وأخذت الفتيات اللاتى انتهين من العمل فى الثرثرة بأعلى أصواتهن . وكانت هنـــاك موسيقى عسكريـــة بهيجة تصدر من السماعة بصوت عال .

بعد الانتهاء من حمامها ، عـــادت الى الدولاب لترتدى ملابسها الخارجية .

قالت لزميلتها التى تقف أمام الدولاب المجاور لها : « هاللو ، فانى » .

وفانى هذه تعمل فى حجرة الزجاجات واسمها الثانى « كراون » أيضـــا ، لأنه اذا كان سكان العـــالم الذى يبلغ تعداده الفىمليون نسمة وليس لديهم أكثر من عشرة آلاف اسم يتداولونها ، فلا غرابة فى ذلك .

سألتها فانى : « مع من ستخرجين الليلة » ؟

ـ « مع هنرى فوستر » .

ـ « ثانية ؟ » .. وارتسمت على وجه فـــانى

ملامح عدم الموافقة . **واكملت :** « اتقصدين ان تقولى لى انك مازلت تخرجين مع هنرى فوستر » ؟

فاجابت لينينا باحتجاج : « حسن ، ولعلمك ، انا لم اخرج معه الا منذ اربعة شهور فقط » .

ـ « اربعة ، شهور فقط ؟ ياله من شيء غريب ! والأغرب من ذلك » .. **واصلت فانى كلامها وهى تصوب ناحيتها اصبع اتهام :** « انه لم يوجد بديل آخر طوال تلك المدة . أم كان يوجد ؟ » .

واحمر وجه لينينا وقالت بجسارة : « انا لا أرى حتمية لوجود شخص آخر » ؟

ـ « آه ، انها لا ترى حتمية لوجود شخص آخر » رددت فانى ذلك ، وكأنها تحادث شخصا آخر غير مرئى خلف كتفها . ثم فجأة **وبنبرة مغايرة قالت :** « لكننى أعتقد بجدية ، انه ينبغى عليك أن تكونى حريصة . فانه سلوك سيىء جدا أن تستمرى على هذا النحو مع رجل واحد . فى سن الأربعين أو الخامسة والثلاثين يمكن أن يكون ذلك

مقبولا . لكن واحدة فى مثل سنك ، يا لينينا تفعل ذلك ! كلا ، هذا لا يجوز حقيقة . وانت تعرفين كم يغضب المدير سلوك مثل هذا ، خاصة اذا استمر لفترة طويلة . اربعة شهور مع هنرى فوستر ، ولم تلتقى برجل آخر – لماذا ؟ سيثور المدير جدا لو علم بذلك » .

– « ليس هناك داع لأن تقطعى صلتك به تماما، **واصلت فانى كلامها بنوع من التعاطف** : « لا بأس أن تلتقى برجل آخر من وقت الى آخر ، هذا كل ما فى الأمر فهو يعرف فتيات أخريات ، أليس كذلك ؟

أقرت لينينا بذلك :

– « بالفعل يعرف أخريات . لكن ان تثقى بأن هنرى فوستر هو الرجل المهذب الكامل .. فهذا خطأ على طول الخط . ثم ان هناك المدير الذى ينبغى أن نفكر فيه . فأنت تعرفين كيف يصر على السلوك الصحيح » .

طأطأت لينينا رأسها وقالت : « لقد ربت على ظهرى بعد ظهر اليوم .

فقالت فانى بزهو : « ارايت ، اذن ! هذا مثال للسلوك السليم . انه نموذج للسلوك الملتزم تماما بالقواعد المرعية » .

قالت لينينا : « وحقيقة ، فلقد بدأت اشعر بشيء من الملل ، خاصة وليس هناك أحد سوى هنرى كل يوم » . شدت فردة جوربها الأيسر **وسألت فانى بنبرة صوت حاولت الا تظهر فيها اهتماما كبيرا :** « هل تعرفين برنارد ماكس » ؟

فوجئت فانى وانزعجت قليلا : « برنارد ماكس المسئول عن القسم النفسى ؟ هل تقصدين ان تقولى » .. ؟

ـ « ولم لا ؟ فبرنارد من فصيلة الفا ـ موجب. بالاضافة الى انه طلب ان أذهب معه الى واحدة من معسكرات عزل الهمجيين . ودائما ما كنت أتطلع لرؤية أحد هذه المعسكرات » .

ـ « لكن سمعته » !

ـ « وماذا يهمنى من سمعته » ؟

ـ « يقولون انه لا يحب أى نوع من الرياضة ».

ـ « يقولون ، يقولون ! » .. قالت لينينا ذلك بسخرية .

ـ « كما انه يقضى معظم وقته مع نفسه ـ وحده » .

وانتاب وجه فانى شىء من الفزع .

ـ « حسن ، لكنه لن يكون وحده عندما يكون معى . وعلى أى حال من الأحوال ، لماذا يتصرف الناس معه بشكل سيىء جدا ؟ فأنا أرى أنه لطيف جدا . وابتسمت لنفسها ، وكم كان خجله لطيفا ! وكم كان مرتعبا أمامها ـ كما لو أنها حاكمة العالم وهو مجرد عامل من فصيلة جاما ـ سالب .

قالت فانى : « لكنه قبيح الشكل جدا » .

ـ « لكنى أحب منظره جدا » .

ـ « بالاضافة الى انه ضئيل الحجم » .

وبان الاشمئزاز على وجـه فانى . لأن صغير الحجم كان يعد شيئا مزعجا جدا ويدل على انحطاط مرتبته .

قالت لينينا : « انا ارى انه جميل جدا . واشعر بأننى أود الالتقاء معه كحيوان اليف . انت تعرفين . مثل القطة » .

صدمت فانى وقالت : « يقولون ان أحد العمـال ارتكب خطأ ازاءه وهو ما يزال فى الزجاجة ـ فلقد ظن العامل أنه من فصيلة جاما وبدأ فى معالجته بالمستوى الأدنى قبل اكتشاف الخطـأ . وهذا هو السبب فى أن أصبح قصيرا جدا . .

ـ « هذا كلام فارغ ! » .

قالت لينينا ذلك بغضب شديد وأعطت كل منهما

ظهرها للأخرى ، وواصلت فانى ولينينا تغيير ملابسهما فى صمت . **ثم قالت لينينا :**

ـ « هأنذا ، جاهزة ! » .

وظلت فانى صامتة ، ورأسها متجهة بعيدا : « دعينا نتصالح يا عزيزتى فانى . هل شكلى على ما يرام » ؟

كانت سترتها من قماش صناعى ، من ألياف زجاجية خضراء اللون ، ومزين بفراء صناعى عند الياقة وأسفل الكمين . وعلى رأسها قبعة بيضاء أنيقة تظلل عينيها . ارتدت السترة فوق بنطلون أخضر قصير ، مع جورب أبيض صوفى من الألياف الصناعية يصل تحت ركبتيها . وحذاء أخضر لامع . وحول وسطها حزام أخضر من الجلد الصناعى ، به جيوب مليئة بحبوب منع الحمل التى يمدونهم بها .

ـ « رائعة ! » .. **صاحت فانى بابتهاج** . فهى لا تستطيع أبدا مقاومة سحر لينينا طويلا .

واستطردت : « يا لروعة وحلاوة حزام مالتوزيان (*) هـذا . انا أود الحصول على واحد مثله » .

وأثناء ذلك ، هنـاك بعيدا فى أسـفل ، كانت ضوضاء الماكينات مستمرة ، وأرفف الزجاجات تتحرك فوق السيور المتحركة ، ببطء وانتظـام لمسافة ثلاثة وثلاثين سنتيمترا فى الساعة ، تحت ومضـات ذلك الضوء المعتم للمصابيح الحمراء التى لا تحصى .

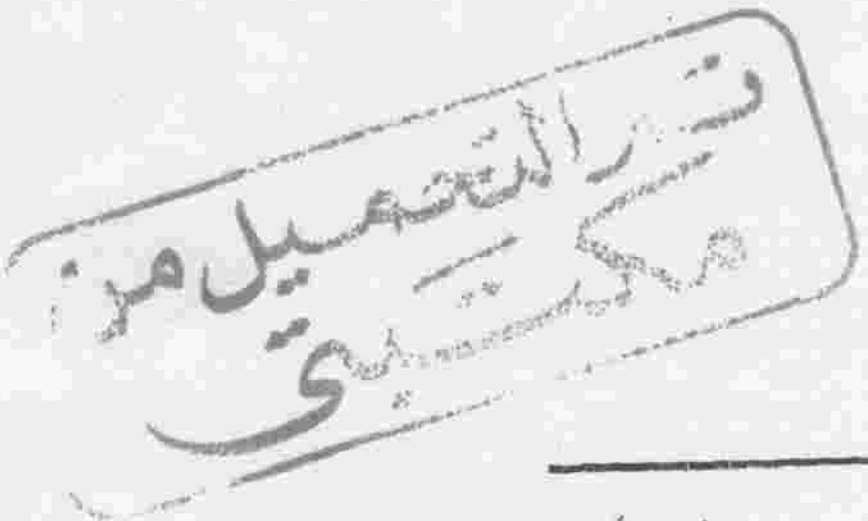

(★) ثوماس مالثوس : كاتب انجليزى (١٧٦٦ - ١٨٣٤) نشر مقالا عن زيادة السكان .. والمقصود بحزام مالتوزيان هنـا ، انه يحتوى على حبوب منع الحمل .

الفصل الرابع

كان المصعد مزدحما بمجموعة من الرجال القادمين من غرفة تغيير ملابس الألفا ، واستقبلت ليننا بكثير من انحناءات الرؤوس والابتسامات عند دخولها المصعد . فلقد كانت فتاة مشهورة ، بالاضافة الى انها من وقت لآخر ، قضت مع أغلبهم ليلة على الأقل .

وفى ركن المصعد رأت برنارد ماكس بجسده الصغير الهزيل ، ووجهه الجاد .

« برنارد ! » وتحركت الى جانبه . « كنت ابحث عنك » .

وكان صوتها مسموعا بوضوح رغم ضجة المصعد . وتطلع الآخرون حولهم فى فضول وواصلت كلامها . « كم احب جدا أن أذهب معك فى شهر

تم التحميل من مكتبتي

يوليو » . (وكانت تقصد هنا ! ان تعلن للجميع بأنها سـوف توقف علاقتها الحميمة مع هنرى) . **وقالت لينينا بابتسامة دافئة** : « هـذا ، اذا كنت ما تزال ترغب فى » .

واحمر وجه برنارد الشاحب . « لمـاذا ؟ » . . انتابتها الدهشة ، لكنها فى نفس الوقت أسعدها تأثير قوتها الغريبة عليه .

ـ « أليس من الأفضل أن نتكلم بخصوص ذلك فى مكان آخر » ؟ قال ذلك بارتبـاك وبدا عليـه الاضطراب الشديد .

فكرت لينينا : « كما لو أننى قلت شيئا مفزعا . لم يكن ليبدو بمثل هـذا الانزعاج لو أننى قلت نكتة قذرة . . أو سألته من هى أمه أو شـيئا من هـذا القبيل » .

قال وقد اكتسى وجهه بالضيق : « أعنى ، انه فى وجود كل هؤلاء الناس . . ! » .

منتديات مكتبة

ضحكت لينينا بصوت عال وبمرح صادق **وقالت :** « كم أنت ظريف ! » وكانت حقيقة وبصدق تعتقد أنه يمزح : « سوف تخطرنى قبلها بأسبوع على الأقل ، أليس كذلك ؟ » **ثم واصلت كلامها بنبرة مختلفة :** « أعتقد اننا سنستقل (صاروخ الباسفيك الأزرق) ؟ هل يقلع من « برج تشارنج تى » ؟ أم من هامبستد ؟

وقبل أن يتمكن برنارد من الرد توقف المصعد .

ـ « السطح ! » صاح عامل المصعد وهو من فصيلة « ابسيلون ـ سالب » بصوته القبيح . ثم فتح الباب .

كان الجو دافئا ومشمسا فى السطح . كان وقت ما بعد الظهيرة الصيفى ، مليئا بصوت طائرات الهليوكوبتر المنتظم العابرة فى سلام ، والآثار المتناهية البعد للطائرات الصاروخية وهى تزيد من سرعتها وتبتعد عن الأنظار ، فى السماء الزرقاء اللامعة على مسافة خمسة أو ستة أميال ، تلك الآثار التى كانت

تتداعى فى الهواء الرقيق ، وكأنها منحة الهية . سحب برنارد نفسا عميقا . وتطلع الى السماء ، ثم تطلع حوله ، وأخيرا الى وجه لينينا .

ـ « أليس الجو جميلا ؟ » . جاء صوته مضطربا بعض الشيء .

ابتسمت له بتعبير يفيض بكل معانى التعاطف **وأجابت بحرارة :** « مناسب جدا للعب الجولف . والآن يجب أن أطير ، يا برنارد . فهنرى سوف يتضايق لو اننى تركته ينتظر . أرجو أن تدعنى أعرف تاريخ السفر ، قبلها بوقت مناسب » . ولوحت له بيدها وهى تجرى عبر السطح الفسيح تجاه مظلة انتظار الهليوكوبتر . وقف برنارد يراقب ومضات جوربها الأبيض ، وركبتيها اللتين لوحتهما الشمس وهما تنثنيان وتنفردان ، وحركة البنطلون القصير المحكم عليها ، وفوقه السترة الخضراء ، وهى تجرى بخفة فوق السطح . واكتسى وجهه بمسحة من الألم .

كان هنرى قد أخرج طائرته من حظيرتها ،

وعندما وصلت لينينا ، كان قد جلس بالفعل على مقعد القيادة منتظرا .

ـ « تأخرت أربع دقائق » . كان ذلك كل ما قاله عندما صعدت الطائرة وجلست الى جواره . أدار المحركات وجذب ذراع الحركة . فانطلقت الطائرة كالقذيفة فى الهواء . وزاد هنرى السرعة ، فغدا صوت المروحة عاليا وحادا ، وأظهر عداد السرعة انهما يرتفعان بسرعة اثنين كيلو متر فى الدقيقة على الأقل . وبدت لندن أصغر وأصغر من تحتهما . وكذلك العمارات الشاهقة أصبحت خلال ثوان قليلة لاشىء سوى أعمدة بيضاء تنبثق من حديقة خضراء . ووسط هذه الأعمدة كانت قمة « برج تشارنج تى » الاسطوانية تعكس أضواء رصيف هبوط الطائرات تجاه السماء .

وكانت هناك سحب بيضاء ترقد ناعسة فى السماء الزرقاء فوق رأسيهما . وفجأة هبطت حشرة صغيرة حمراء لامعة من على بعد وأخذت تئز وهى تهبط .

قال هنرى : « هذا هو الصاروخ الأحمر ، قادما توا من نيويورك » ثم نظر الى ساعته **وقال :** « سبع دقائق تأخير عن موعده » **وهز رأسه وأضاف :** « ان خطوط الأتلانتك ـ تغدو أقل وأقل انضباطا » .

خفض سرعة مروحة الهليوكوبتر فكفت عن الصعود ، ودفع ذراع الحركة الى الأمام . وعندما أخذت الطائرة ما يكفيها من السرعة ، لتنطلق الى الأمام ، أبطل دوران المروحة الدافعة .

طارا فوق العديد من المصانع والمصانع . وفى منطقة ما شاهدا جيشا من العاملين يرتدون الملابس الكاكية والسوداء يقومون برصف الطريق الغربى الكبير . وبدا مصنع التليفزيون فى برنتفورد وكأنه مدينة صغيرة .

قالت لينينا : « لابد انهم يغيرون الوردية . يا لهذا العدد المهول الذى يرتدى الكاكى » . ودون وعى منها أخذت تسترجع دروس التعليم أثناء النوم التى تلقتها فى سنواتها المبكرة . **فتيات** الجاما وفتيات

الابسيلون الأقل حجما يتجمهرن أمام المدخل ، أو يقفن فى صفوف فى محطات المونوريل . كان سطح المبنى الرئيسى يموج بحركة الهليوكوبتر الصاعدة والهابطة .

قالت لينينا : « بحق كلمتى ، أنا سعيدة لأننى لست من فصيلة جاما » . وبعد عشر دقائق وصلا الى ملعب الجولف ، ولعبا أول جولة .

* * *

أسرع برنارد يعبر السطح بسرعة وعيناه تنظران الى أسفل . وأحس أنه مشتت ووحيد . حتى لينينا جعلته يعانى ، رغم أن مقصدها كان حسنا . تذكر تلك الأسابيع التى عاشها مترددا ، وكان خلالها يتطلع ويرغب ويأس بأن تكون لديه الشجاعة ليسألها . وما أن يجرؤ على القيام بالمخاطرة حتى ينتابه الخجل من أن يقابل بالرفض المشوب بالاحتقار ؟ لكن وقد قالت نعم ، فيالها من سعادة ! لكن رغم انها قالت ذلك . الا أنه مازال بائسا ، لأنها فكرت ظهر هذا اليوم بالذات لتلعب الجولف ، وتحتم عليها أن تسرع

لتقابل هنرى فوستر ، لأنها لابد وقد اكتشفت أنه مضحك لأنه لم يرغب فى الكلام عن شئونهما الخاصة جدا وسط الناس . بائس ، بكل معانى الكلمة ، لأنها تصرفت كما ينبغى لأى فتاة انجليزية فاضلة تتمتع بصحة جيدة ، أن تتصرف ، وليس بأسلوب آخر غريب أو شاذ .

فتح باب حظيرة طائرته ونادى على اثنين من العمال من فصيلة « دلتا ـ سالب » ليدفعا طائرته الى السطح . وكان يقوم برعاية حظائر الطائرات رجال من فصيلة بوكانوفسكى ، كان الرجلان متشابهين وصغيرى الحجم لونهما أسود وفى منتهى القبح . والقى برنارد أوامره اليهما بحدة باحساس من هو غير متأكد من نفوذه فقد كان طول برنارد يقل ثمانية سنتيمترات عن الطول العادى لفصيلة الألفا . وعند تعامله مع من هم أقل مرتبة ، كان يتذكر دائما الخطأ الذى ارتكب فى حقه بنوع من الألم ، كان يجعله يتكلم معهم بخشونة زائدة ليست من طبيعته .

صعد الى الطائرة ، ولم تمض دقيقة حتى كان طائرا تجاه الجنوب ، صوب النهر .

كانت أقسام الدعاية المختلفة وكلية هندسة المشاعر والأحاسيس ، تتمركز فى مبنى واحد يتكون من أربعة وستين دورا ، فى شارع فليت . فى الدور الأرضى والدور الأول كانت توجد مطابع ومكاتب ثلاث جرائد لندنية كبيرة ـ « ذى أورلى راديو » وهى جريدة الطبقة العليا ، « الجاما جازيت » بلون أخضر باهت ، ثم جريدة من يلبسون الكاكى وكلماتها من مقطع واحد ، وهى جريدة « ذى دلتا ميرور » . بعد ذلك يأتى قسم الدعاية بواسطة التليفزيون والأصوات الصناعية والموسيقى ـ وهذه تشغل أربعة وعشرين طابقا من المبنى . وفى أعلى معامل الأبحاث وحجرات اختبار الصوت حيث يقوم كتاب الصوت والمؤلفون الموسيقيون بعملهم الرقيق . أما الدور الأخير ، الثمانون فتشغله كلية هندسة المشاعر والأحاسيس .

حط برناود على سطح مبنى الدعاية ونزل من الطائرة . وأمر أحد العمال الجاما قائلا : « اتصل

بالسيد هلمولتز وقل له ان السيد برنارد ماركس ينتظرك على السطح » .

وجلس واشعل سيجارة .

كان « هلمولتز واتسون » يقوم بالكتابة عندما جاءته الرسالة .

ـ « قل له اننى قادم على الفور » ، قال ذلك ووضع السماعة ، ثم التفت الى سكرتيرته **وقال لها :** « سأترك لك مهمة ترتيب الأمور » وواصل كلامه بنفس النبرة الرسمية ، ولم يعر انتباها لابتسامتها المغرية ، ونهض واتجه بسرعة ناحية الباب .

كان رجلا متين البنيان واسع الصدر عريض المنكبين . لكنه خفيف الحركة ، بأسلوب ما كان رجلا وسيما ومرموقا ، كما كانت سكرتيرته تصفه دائما ولا تمل . بأن كل سنتيمتر فيه من طراز « الفا ـ الموجب » . أما من حيث المهنة فقد كان محاضرا فى كلية هندسة المشاعر والأحاسيس (قسم

التأليف) وفى وقت راحته من نشاطاته التعليمية كان يعمل مهندسا للمشاعر . كما أنه يكتب بانتظام لجريدة « ذى أورلى راديو » ، كما أنه موهوب فى تأليف الشعارات :

كان رأى رؤسائه فيه أنه « لديه المقدرة ومحتمل » .. ثم يهزون رؤوسهم ويخفضون أصواتهم ويقولون : قدرته أقل مما ينبغى !

وبالفعل ، كانت قدرته أقل مما ينبغى ـ لقد كانوا على صواب . وبوادر الذكاء الشديد التى كانت لدى هلمولتز واتسون ، تشبه تلك ، التى لدى برنارد ماركس ، نتيجة لقصور نموه الجسمانى الذى كان سببا فى عزلة برنارد عن رفاقه من الرجال . ورغم أن برنارد عانى طوال حياته من هذا الشعور ، فان هلمولتز لم يدرك ذلك الا منذ عهد قريب فقط . كان رياضيا من الدرجة الأولى ، عاشقا لا يعرف الملل ؛ رجل مجتمعات ممتاز ، مشهورا فى المجتمع ، الا انه لم يتنبه الا فجأة بأن الرياضة والنساء والنشاطات

المهنية والاجتماعيـــة ، ليست كما كان يعتقد ، أهم الأشياء فى الحياة . حقيقة ، لقد كان يهتم بشىء آخر داخل أعماق نفســـه . لكن بماذا ؟ تلك هى المشـــكلة التى جاء برنارد ليناقشها معه . فلا بأس طالمـــا أن هلمولتز كان يستحوذ دائمـــا على الكلام كله ان يستمع الى صديقه مناقشا ، مرة على الأقل .

وعندما خرج هلمولتز من المصعد تعلقت بذراعه ثلاث فتيـــات فاتنات من قســـم الدعـــاية بالصـــوت الصـــناعى .

ـ « أوه هلمولتز ، عزيزنا ، نرجـــوك أن تأتى للغداء معنا والنزهة فى اكسمور » وتعلقن فى ذراعـــه باذلات جهدهن لاقناعه .

هز راسه رافضا ، وشق طريقه وسطهن **وقال :** « **لا . لا** » .

ـ « نحن لن ندعو أى رجل آخر » .

لكن هلمولتز لم يتأثر حتى بهذا الاغراء البهيج .

وقال : « لا ، أنا مشغول » .. وواصل سيره بحزم . فتبعته الفتيات . ولم تتوقف مطاردتهن له ، الا حين صعد الى طائرة برنارد واغلق الباب . وجرحت مشاعرهن لرفضه .

وعندما انطلقت الطائرة فى الجو قال : « آه ، من أولئك النسوة ! آه ، منهن ! » وهز رأسه فى ضيق .

ـ « فى منتهى الفظاعة » . تظاهر برنارد بموافقته رغم انه يود فى أعماقه لو يستطيع أن يحظى بالكثير من الفتيات مثلما يفعل هلمولتز ، ويتعرض لتلك المتاعب الصغيرة . وتملكته حالة مفاجئة وملحة للتباهى **فقال وهو يحاول المحافظة على نبرة الزهو فى صوته** : « سآخذ لينينا كراون معى الى نيومكسيكو » .

ـ « صحيح ؟ » قالها هلمولتز فى عدم اهتمام على الاطلاق . ومرت باقى الرحلة القصيرة فى صمت . عندما وصلا ، وجلسا بارتياح فى حجرة برنارد بدأ هلمولتز يتحدث بصوت بطىء .

وسأله: « ألم تشعر أبدا ، كما لو أن شيئا ما بداخلك وتنتظر الفرصة فقط ، لتمنحه الفرصة للخروج ؟ نوع من القوى الزائدة ، يمكن أن تستغلها لو عرفت كيف » ؟

ـ « تقصد كل المشاعر التى يمكن أن يشعر بها الانسان لو أن الأمور كانت مختلفة » ؟

هز هلمولتز رأسه وقال : « ليس بالضبط . أنا أفكر فى شعور غريب ينتابنى أحيانا . شعور بأن لدى شيئا مهما أود أن أصرح به ، وأملك القوة لكى أقوله ـ لكننى فقط لا أعرف ما هو ، ولا أستطيع الاستفادة من هذه القوة . لو كانت هناك طريقة أخرى مختلفة للكتابة .. أو أى شىء آخر مختلف أكتب عنه ، فأنا موهوب فى خلق العبارات ، التى يمكن أن تثيرك ، حتى لو كانت عن موضوع يعرفه الجميع بالفعل . لا يكفى أن تكون العبارات جيدة ، لكن ما تضفيه عليها ينبغى أن يكون جيدا أيضا » .

ـ « لكن كتاباتك كلها جيدة ، يا هلمولتز » .

ـ « أوه ، بقدر ما هى عليه . لكنها تسير فى طريق محدود ، فهى ليست ذات أهمية بما فيه الكفاية ، بأى حال من الأحوال ، أنا أشعر أنه بامكانى أن أفعل شيئا أكثر أهمية . أجل ، وأكثر قوة ، وأكثر عنفا . لكن ما هو ؟ ماذا هناك أكثر أهمية يمكن قوله ؟ الكلمات هى أعظم الأسلحة قوة ، أذا استعملتها بشكل مناسب ولسوف تخترق أى شىء . لكن ما فائدة ذلك ، اذا كانت الأشياء التى تكتب عنها لا تكمن فيها قوة ؟ هل باستطاعتك أن تقول شيئا عن لاشىء ؟ هذه مشكلتى . أنا أحاول وأحاول ...

ـ « هس ! » .. قالها برنارد فجأة ، وهو يرفع أصبعه محذرا ، **وقال بهمس** : « انهم يتسمعون ، أنا أشك أن هناك شخصا وراء الباب » .

نهض هلمولتز وتحرك بهدوء عبر الحجرة ، وبسرعة شديدة فتح الباب على آخره . وبالطبع لم يكن هناك أحد .

ـ « أنا آسف ، » .. قالها برنارد وهو يشعر بالارتباك وبدا عليه الحرج **واستطرد** : « أعتقد اننى تركت هذه الأمور تقلقنى بعض الشىء . فعندما يشك فيك الناس ، فتبدأ أنت أيضا تشك فيهم » .

ومر بيده على عينيه **وتنهد** : « أنت لا تعرف ما لاقيت من متاعب مؤخرا » . قال ذلك والدموع تغالب صوته ، وفجأة اكتسحته موجة من الاشفاق على النفس **وقال** : « أنت لا تدرى ما حدث لى . لا تدرى تماما » .

وكان هلمولتز واتسون يصغى اليه باحساس معين من عدم الارتياح . **وقال لنفسه** : « يا لبرنارد الصغير المسكين » لكنه فى نفس الوقت أحس بالخجل الشديد بالنسبة لصديقه . فقد كان يود أن يظهر ولو قليلا من الكبرياء !

تم التحميل من مكتبتي

تم التحميل من مكتبة

الفصل الخامس

فى الساعة الثامنة أخذت الأضواء تنطفىء ، وأعلنت سماعات نادى لعب الجولف بأكثر من صوت بشرى انتهاء وقت اللعب . توقفت لينينا وهنرى عن اللعب وسارا عائدين الى النادى .

كانت ضجة طائرات الهليوكوبتر التى لا تنتهى تملأ الجو المظلم . وكل دقيقتين ونصف يعلن جرس وصفير صارخ عن رحيل احد قطارات المونوريل الخفيفة التى تقل عمال الدرجة الأدنى من فصائل مختلفة عائدين الى المدينة .

صعدت لينينا وهنرى الى طائرتهما ، وانطلقا فى الجو . وعلى ارتفاع ثمانمائة قدم خفض هنرى من سرعة الطائرة ، وحلقا للحظة أو لحظتين فوق المنظر

المتلاشى تحتهم وبدت غابة « برنهام بيتشز » وكأنها بحيرة كبيرة من الظلام مقابل أفق السماء الغربية اللامع . الأفق الأحمر البعيد ، وتلاشى آخر ما تبقى من أشعة الشمس باللون البرتقالى يليها الأصفر والأخضر المائى الشاحب . أما فى الشمال فيما بعد الأشجار ، فكان يوجد مصنع لتصنيع غذاء الأطفال الصناعى ، وبدت الاضاءة الشديدة من خلال نوافذ المبنى المكون من عشرين طابقا . وظهر بينهما مبنى نادى الجولف والبنايات الضخمة لايواء العمال الأدنى مرتبة ، وفى الجانب الآخر من خلال حائط يقسم المكان نصفين ظهرت منازل صغيرة محجوزة لفصيلتى ألفا وبيتا .. وكانت الممرات المؤدية الى محطات قطارات المونوريل سوداء بسبب تلك المجموعات الكبيرة من عمال الطبقة الأدنى . ومن تحت سقف زجاجى . انطلق أحد القطارات المضيئة الى الجو . وأثناء تتبعهم لقطار الفضاء فى الظلام لفت نظرهما بنايات « حرق الجثث » . ولسلامة الطيران الليلى ، فقد أضيئت المداخن باضاءة شديدة ، تومض بعضها باشارات حمراء فى قمتها .

وسألت لينينا مستفسرة : « لماذا توجد حول المداخن تلك الأشياء التى تشبه الشرفات المسورة ؟ ».

فشرح لها هنرى قائلا : « لاستعادة الفوسفور من الجو ، فالغازات التى تخرج من المداخن تعالج فى أربع مراحل . والفوسفور الذى يفقد عادة بسبب حرق جثة أى شخص . يستعيدونه بهذه الطريقة ويستعيدون أكثر من ٩٨٪ منه . أكثر من كيلو ونصف مقابل كل شخص . وناتج تلك العملية حوالى أربعمائة طن من الفوسفور كل عام ، من انجلترا وحدها . كان هنرى يتكلم بسعادة وفخر ، وكله ابتهاج بتلك الحقيقة وكأنه المسئول عنها . **ثم قال :** « من الطريف أن نكون مقيدين من الناحية الاجتماعية حتى بعد أن نموت ، ونجعل النباتات تنمو » .

كانت لينينا قد تحولت ببصرها أثناء كلامه ، وأخذت تنظر تحتها الى محطة المونوريل ، **ووافقته قائلة :** « طريف فعلا » ، **ثم قالت :** « لكن أليس من الغريب جدا أن فصيلتى الألفا والبيتا لا يرغبون فى

زراعة المزيد من النباتات ، مكتفين بما يقوم به أولئك الحمقى من فصائل الجاما والدلتا والابسيلون » .

قال هنرى : « كل الناس متساوون من الناحية الجسمية والكيمائية . علاوة على أنه ، حتى فصيلة الابسيلون تقوم بخدمات قيمة » .

ـ « حتى الابسيلون ... » وفجأة تذكرت لينينا ، مناسبة ما ، عندما كانت وقتها تلميذة فى المدرسة ، فقد استيقظت أثناء الليل ولاحظت لأول مرة ذلك الهمس الذى يذاع طوال الوقت عندما تكون نائمة . ورأت ثانية ، أشعة ضوء القمر ، وصف الأسرة الصغيرة البيضاء وسمعت مرة ثانية ذلك الصوت الرقيق الذى كان يقول (تلك الكلمات لايمكن أن تنسى أبدا ، لأنها رددت مرات عديدة أثناء الليل) . « كل منا يعمل من أجل الآخر . لايمكن أن نحيا دون الآخرين . حتى الابسيلون لهم فائدة . لايمكن أن نحيا دون الآخرين ... » تذكرت لينينا صدمتها الأولى من الخوف والدهشة وشكوكها وتساؤلاتها ، أثناء

تمددها متيقظة لمدة نصف ساعة ، بعد ذلك وتحت تأثير التكرار الذى لا ينتهى ، وهدوء ذهنها التدريجى ، والاطمئنان الآمن للنوم ، **وقالت بصوت عال :** « أعتقد ان الابسيلون لا يهتمون بكونهم ابسيلون » .

ـ « بالطبع لا يهتمون . وكيف يتسنى لهم ذلك؟ فهم لا يعرفون سوى أن يكونوا كذلك . نحن نهتم بالطبع . لأننا تكيفنا بطريقة مختلفة . بالاضافة الى اننا بدأنا الحياة بطريقة مختلفة » .

فقالت لينينا باعزاز وتقدير : « انا سعيدة لأننى لست ابسيلون » .

فقال هنرى : « لو أنك كنت ابسيلون ، افما كنت تتمنين أن تكونى غير ذلك . لانك تكيفت على ذلك الوضع . ولقدمت الشكر على انك لم تكونى من فصيلة « بيتا أو ألفا » .

حرك عصا قيادة الطائرة الى الأمام واتجه صوب لندن . خلفهم فى الغرب ، كانت أشعة الشمس البرتقالية تتلاشى تقريبا . **وانتشرت** فى السماء كتلة

من السحب السوداء . وبينما كانا يطيران فوق محرقة الجثث ارتفعت الطائرة فوق أعمدة الهواء الساخن المتصاعد من المداخن ، لتهبط ثانية فجأة عندما مرت داخل تيار هواء بارد .

وضحكت لينينا بسعادة : « يا له من شيء ظريف » !

واكتسى صوت هنرى بنبرة حزينة للحظة وقال : « هل تعرفين سبب ما حدث ؟ لأن أناسا اختفوا نهائيا . صعدوا خلال سحب الغاز . وقد نتساءل بنوع من الفضول من كان ذلك الشخص .. رجلا أم امرأة ، من فصيلة الفا أم من فصيلة ابسيلون » .

اختتم كلامه قائلا : « على أية حال هناك شيء واحد نحن متأكدون منه ، مهما يكن الشخص ، فقد كان سعيدا عندما كان حيا . كل الناس الآن سعداء » .

واعادت لينينا قوله : « اجل ، كل الناس الآن سعداء » فلقد سمعوا تلك الكلمات مرات

ومرات ، مئات المرات ، وفى أوقات عديدة خلال الليل على مدى اثنى عشر عاما .

كان برنارد يلتحق كل خميسين بحفل التضامن الاجتماعى . وبعد عشاء مبكر مع هلمولتز ودع صديقه واستقل تاكسيا طائرا من على السطح ، وطلب من السائق أن يتجه الى مجمع فوردسون للغناء . ارتفعت الطائرة الى أكثر من مائتى متر ثم توجهت صوب الشرق . وعندما استدارت ظهر أمام عينى برنارد المبنى الضخم الجميل لمركز الغناء . يفيض بالأضواء ، ويومض مثل الثلج الأبيض بواجهته التى تبلغ ثلاثمائة وعشرين مترا من الرخام الصناعى ، فوق « تل لدجبت » . ويوجد فى كل ركن من أركانه الأربعة التى تستخدم كمهابط للهيلوكوبتر علامة ضخمة على هيئة حرف T مضاءة باللون الأحمر . وانبعثت من خلال أفواه واسعة لأربع وعشرين آلة ترومبيت ذهبية موسيقى صناعية وقورة .

ـ « على اللعنة لقد تأخرت » قال برنارد

لنفسه عندما وقع بصره على ساعة « بيج هنرى »(*). وتأكد من ذلك وهو يحاسب التاكسى . فلقد دقت ساعة « بيج هنرى » . وسمع صوتا وقورا صادرا من آلات الترومبيت الذهبية يردد : « فورد ، فورد ، فورد » .. ثمانى مرات ، فأسرع الى المصعد .

كانت القاعة الكبرى المخصصة للاحتفال بيوم فورد ، والأغانى الجماعية الأخرى ، فى الدور الأول من المبنى ، فوقها وبمعدل مائة حجرة للدور ، كانت توجد سبعة آلاف حجرة تستخدم لمجموعات التكافل الاجتماعى للقيام بواجباتها لمدة أربع وعشرين ساعة ، هبط برنارد الى الدور الثالث والثلاثين ، وأسرع عبر الممر ، ووقف مترددا للحظة أمام الحجرة رقم (٣٢١٠) ، ثم قرر وفتح الباب .

شكرا لفورد ! اذ لم يكن الأخير . فما زالت هناك ثلاثة مقاعد من الاثنى عشر مقعدا التى تحيط المائدة

(★) على غرار ساعة « بيج بن » الموجودة على واجهة البرلمان الانجليزى .

لم تشغل بعد . فتسلل الى اقرب كرسى بهدوء على قدر ما يستطيع . والتفتت اليه الفتاة التى على يساره مستفسرة **وقالت** : « ماذا لعبت بعد ظهر اليوم ؟ الغازا ، ام العابا الكترونية مغناطيسية » ؟

نظر برنارد اليها (أوه فورد ! انها مورجانا روث تشيلد) واعترف وهو يشعر بمنتهى الخجل ، أنه لم يلعب أيا من اللعبتين . وحملقت فيه « مورجانا » بدهشة ، وحدث صمت مربك .

ثم التفتت للناحية الأخرى ، ودخلت فى نقاش مع جارها الذى كان على يسارها ، وله اهتمام أكثر بالرياضة .

ـ « بداية طيبة لجلسة التكافل الاجتماعى » . فكر برنارد بيأس . لو أنه أعطى لنفسه فرصة فقط ليلقى نظرة على المكان بدلا من الجلوس على أقرب كرسى ! لكان فى امكانه أن يجلس بين « فيفى برادلو » و « جوانا ديزل » . بدلا من الكرسى الذى زرع نفسه فيه دون تفكير ، بجوار مورجانا . مورجانا ! أوه

فورد ! وحاجباها السوداوان ـ حاجباها بصفة خاصة ـ لأنهما يلتقيان فوق أنفها . آه فورد ! . على يمينه كانت « كلارا تيبردنج » صحيح ان حاجبى « كلارا » لا يلتقيان . لكنها كانت سمينة جدا . فى حين أن « فيفى » و « جوانا » شيقتان . شقراوان، ملامحهما جميلة فى غير ضخامة . وها هو الزميل « توم كوجاش » ثقيل الظل يجلس بينهما .

كان آخر من وصل هى « ساروجينى انجلز » .

قال رئيس المجموعة بحدة : « لقد تأخرت ، لا داعى لأن يحدث ذلك مرة ثانية » .

اعتذرت ساروجينى وتسللت الى مقعدها بين « جيم بوكانوفسكى » و « هربرت باكونين » . والآن اكتملت حلقة مجموعة التكافل الاجتماعى . رجل ، وامرأة ، رجل ، وامرأة ، فى حلقة متصلة حول المائدة . والمطلوب من الاثنى عشر فردا ، أن يصبحوا فردا واحدا ، بأن يتواصلوا ، يذوبوا فى بعضهم ،

ويكونوا على استعداد لأن يتخلوا عن ذواتهم الاثنى عشر المتنافرة ، ويصبحوا كائنا واحدا .

وقف رئيس الجلسة ورسم علامة حرف T ، وأدار جهاز الموسيقى الصناعية ، فتدفقت أرق وأعذب ايقاعات للطبول ، وأحلى الأنغام للآلات ، التى أخذت تردد باختصار لحنا مألوفا من الترنيمة الأولى للتضامن . وهكذا ، وهكذا . أخذ اللحن ، يتفاعل ويستحوذ ، ليس على الأذن ، ولا على العقل فقط ، انما يستحوذ على القلب ، والروح .

ورسم رئيس الجلسة علامة حرف T وجلس . لقد بدأت الجلسة . وكانت حبوب « السوما » (*) المباركة موضوعة فى وسط مائدة العشاء . وتم تمرير كأس آيس كريم التوت « بالسوما » ، من يد الى يد مع الجملة المعهودة (سأشرب حتى ارتوى) ، إثنى عشر مرة ، وبمصاحبة

(★) حبوب السوما ـ حبوب مخدرة .

الأوركسترا الصناعى . غنيت الترنيمة الأولى للتضامن .

فورد ، نحن اثنا عشر ، فلتجعلنا واحدا ..
مثل القطرات فى نهر الحياة ..
أوه ، فلتجعلنا الآن نجرى سويا ..
نجفة السيارة العتيقة ..

اثنا عشر بيتا من الشعر ، مليئة بنفس المشاعر العميقة ، ثم مررت الكأس المفضلة للمرة الثانية .. وشرب الجميع .. والموسيقى تعزف بلا كلل . والطبول تدق ، وغنوا ترنيمة التكافل الثانية .

تعالوا جميعا ولنكن أصدقاء ..
نمحو الاثنى عشر فردا ليكونوا واحدا !
لن نلبث أن نموت ، وعندما ننتهى ..
لن تلبث حياتنا الأكبر فى البدء .

اثنا عشر بيتا مرة اخرى . لكن هذه المرة ، كان مفعول السوما قد بدأ يعمل . فلمعت العيون ، وتوهجت الخدود . وانفجرت الضحكات المرحة الأخوية وبدت على كل الوجوه . حتى برنارد شعر بشيء من السعادة . وعندما التفتت اليه « مورجانا روث تشيلد » وابتسمت له ، حاول جهده ان يبتسم لها . لكن .. حاجباها ، حاجباها السوداوان ـ اثنان فى واحد ـ مازالا موجودين ، للأسف ، ومهما حاول ، لم يستطع الاحساس بأنه انجذب الى مورجابا .

ومرت الكأس المفضلة عبر المائدة . ورفع رئيس الجلسة يده ، وأعطى اشارة . فبدات المجموعة فى انشاد الترنيمة الثالثة للتضامن . واثناء القاء الأبيات كانت أصواتهم ترتعش بسبب اضطرابهم ، ورفع رئيس الجلسة يده الى أعلى . وفجأة سمع صوت من فوق رؤوسهم ، صوت قوى عميق ، صوت به موسيقية أكثر من كونه مجرد صوت بشرى ، ثرى ، دافىء مليء بالحب . وبدأ يغنى ببطء

« أوه ، فورد ، فورد ، فورد » ، وبطبقة صوتية هادئة خافتة ، فى كل مرة يردد فيها الاسم . وغمر السامعين احساس جياش ، فبدأت الدموع تتساقط من أعينهم .

وفجأة صاح الصوت عاليا : » أصغوا ! » . فأصغى الجميع . وبعد فترة صمت انطلق الصوت ثانية ، لكن فى همس .. كان مؤثرا أكثر من الصوت العالى . « خطوات الكائن الأعظم » وردد الكلمات ثانية ، « خطوات الكائن الأعظم » . وتلاشى الهمس . « خطوات الكائن الأعظم على السلم » . وحل الصمت مرة أخرى . وزاد اضطراب المجموعة الى الحد الذى لايمكن السيطرة عليه . أوه ـ انهم يسمعون خطوات الكائن الأعظم . يسمعونها آتية ببطء السلم ، فتقترب وتقترب على السلم غير المرئى . وفجأة حلت اللحظة الحاسمة . فلقد هبت « مورجانا روث تشيلد » واقفة على قدميها ، وعيناها جاحظتان وشفتاها منفرجتان .

وصاحت : « اننى أسمعه ، انى أسمعه » !

وصرخت ساروجينى انجلز : « نعم ، انه قادم » !

ووقفت « فيفى برادلو » و « توم كواجوش » وصاحا : « نعم ، انه قادم ، نحن سمعناه » .

وصاحت « جوانا » ، « أوه ، أوه ، أوه » .

وصرخ جيم بوكانوفسكى : « انه قادم » .

ومال رئيس الجلسة الى الأمام وبلمسة من يده ، انطلق صوت ترومبيت نحاسية محمومة ، وهدير طبول .

ـ « أوه ، انه قادم ! » صرخت « كلارا ديتردنج » حتى يخيل أن أحبالها الصوتية قد قطعت.

وأحس برنارد بأن الوقت قد حان ليفعل شيئا ، فقفز هو الآخر وصاح : « أنا أسمعه ، انه قادم » . لكن ذلك لم يكن صحيحا . فهو لم يسمع شيئا . كما أنه على يقين بأن أحدا لن يأتى . لا أحد ـ رغم تلك

الموسيقى ، ورغم ذلك الاضطراب والاثارة المتنامية .. لكنه لوح بذراعيه ، وصاح عاليا مثل أى واحد فيهم ، وعندما بدأ الآخرون فى دق اقدامهم وتحركوا الى الأمام ، دق هو الآخر قدميه وبدأ يتحرك .

وبدأوا يدورون فى حلقة راقصة ، وكل منهم يضع يديه على خلفية الراقص أمامه ، يدورون ، ويدورون ، يصيحون معا ، يدقون الأرض بأقدامهم مع ايقاع الموسيقى ، وفى نفس الوقت تضرب كل يد الخلفية التى أمامها ، اثنا عشر زوجا من الأيدى تضرب وكأنها يد واحدة . بحيث نسمع صوت الصفعات على الخلفيات الاثنى عشر كصفعة واحدة . اثنا عشر مثل واحد ، اثنى عشر مثل واحد : « انا أسمعه أنا اسمعه قادما » وتغدو الموسيقى أسرع ، ودقات الأقدام ، والأيدى التى تضرب الخلفيات التى أمامها . وعلى حين فجأة يسمع صوت صناعى مؤثر يغنى كلمات يعلن فيها نهاية حفل التضامن ، وان الاثنى عشر أصبحوا واحدا ، وعودتهم الى حضن الكائن الأعظم .

وبينما كانت الطبول تدق بعنف ، أذيعت أغنية « أورجى بورجى » .

« أورجى — بورجى — فورد والمرح ..

الأولاد مع الفتيات فى سلام ..

أورجى — بورجى حبنا الرحة .

وبدأ الراقصون يغنون الأغنية المقدسة « أورجى — بورجى » فورد والمرح .. وبينما كانوا يغنون بدأت الأضواء تتلاشى ببطء .. وفى نفس الوقت تغدو أكثر دفئا ، وثراء ، واحمرارا ، حتى وصل الأمر الى أن يرقصوا وكأنهم داخل مخزن للأجنة باضاءته الحمراء بلون الدم . وظل الراقصون لفترة يدورون ويدقون الأرض بأقدامهم فى عدم تطابق للأغنية . « أورجى — بورجى ... » ثم وهنت الدائرة ، وتفسخت ، وارتموا على المقاعد التى تحيط المائدة ، والاثنى عشر كرسيا التى خارج اطار الدائرة وغنى الصوت العميق برقة ونعومة أغنية « أورجى — بورجى .. » .

كانوا يقفون على السطح . وقد أعلنت « بيج هنرى » السابعة . كان الليل هادئا ودافئا .

قالت « فيفى براندلو » : « ألم يكن رائعا ؟ ألم يكن فى منتهى الروعة » ؟

ثم نظرت الى برنارد بعينين لامعتين ، كلها سعادة ، وفى منتهى الرضا ، والاطمئنان مع العالم بأكمله .

ـ « نعم ، أعتقد انه كان رائعا » ، قال برنارد ذلك كذبا ، وتطلع بعيدا . فقد كان لمنظر وجه « فيفى » الذى يفيض سعادة أثر كبير فى الشعور بعزلته بشكل شديد . كان فى منتهى البؤس فى تلك اللحظة ، مثلما كان حاله عندما بدأ الاحتفال ـ بل أكثر احساسا بالعزلة بسبب عدم ارضاء رغبته ازاء شىء لايستطيع حتى أن يصفه لنفسه . وحيد وتعس ، بينما الآخرون متوحدون مع الكائن الأعظم ، وحيد حتى لو كان بين ذراعى « مورجانا » .. بل أكثر وحدة .. وأكثر يأسا

من أى وقت مر به فى حياته . لقد خرج من ذلك الوهج الأحمر الدموى ، الى الجو العام ، حيث ضوء المصابيح الباردة ، بشعور باليأس . كان تعسا تماما وربما (كانت عيناها اللامعتان تتهمانه) **وردد قائلا :** « فى منتهى الروعة » .. وكان الشىء الوحيد الذى يفكر فيه ، هو « حاجبى مورجانا » .

تم التحميل من مكتبتي

سر التحميل من مكتبتي

الفصل السادس

غريب ، عريب ، غريب .. كان هذا رأى لينينا فى برنارد ماركس . حقيقة انه شخص فى منتهى الغرابة ، لدرجة أنها خلال الأسابيع التالية ، تحيرت أكثر من مرة عما اذا كانت تغير رأيها بخصوص قضاء أجازتها فى « نيو مكسيكو » وتذهب بدلا من ذلك الى « القطب الشمالى » مع شخص آخر . لقد كانت هناك فى الصيف الماضى ، بالاضافة الى أنها لم تكن مريحة بشكل كاف . فلاشىء تفعله هناك ، كما أن الفندق من الطراز القديم المتعب ، فلا يوجد أى جهاز تليفزيون بأى حجرة من حجراته . كلا ، لايمكن أن تذهب الى القطب الشمالى مرة ثانية . لقد زارت أمريكا مرة واحدة من قبل ، وكانت الى نيويورك فى رحلة نهاية الأسبوع مع رجل نسيت اسمه . أما فكرة الطيران الى الغرب ولمدة أسبوع كامل ، فقد كانت مغرية جدا .

خاصة ، أنهما سيقضيان ثلاثة أيام من هــذا الأسبوع في زيارة معسكر حجز الهمجيين ، الذى لم يزره سوى نصف دستة من الناس من كل العاملين فى المركز . وباعتبار برنارد من فصيلة « الألفا + سيكولوجست » ، فقد كان من القــلائل كما نعرف ، الذين يسمح لهم رسميا بالذهــاب الى هنــاك . كان ذلك بالنسبــة للينينا فرصة حياتهــا ، لكن الذى جعلهــا تتردد فى القيام ، هو أن برنارد شخص غريب جدا .

وقد ناقشت هذا الموضــوع باهتمام ذات ليلة مع هنرى . **فقال هنرى :** « أوه ، برنارد المســكين لا ضرر منه . فبعض الناس ربما لم يتعلموا أبدا ما هو السلوك الصحيح . وبرنارد واحد منهم . ومن حسن حظــه ، أنه متميز فى وظيفتــه ، والا لمــا كان المدير احتفظ به . لكنه غير مضر ، ويمكنك التأكد من ذلك .

لا ضرر منه ، ربما ، لكنه مزعج جدا . فهو على سبيل المثال يود ان يفعل الأشياء فى خصوصية ، وهذه نزعه غير صحية . وهــذا يعنى ، من الناحية العملية

ألا تفعل شيئا على الاطلاق . وما الذى يستدعى أن يقوم الإنسان بفعل الأشياء فى خصوصية ؟ (بغض النظر عن الذهاب الى الفراش ، لكن الانسان لايستطيع أن يفعل ذلك بصفة مستمرة) نعم ، ماذا هناك يستدعى ذلك ؟ فى أول لقاء لهما بعد الظهر سارت الأمور على ما يرام . واقترحت لينينا ان تستحم فى بلاج مزدحم . بعدها يتناولان العشاء فى المطعم الجديد الذى يؤمه الجميع . لكن برنارد لم يوافق بحجة أن المكان مزدحم . اذن ما رأيك فى جولة فى جولف الحواجز ؟ وكان رد برنارد أنه مضيعة للوقت .

وسألت لينينا بنوع من الدهشة : « اذن لماذا خلق الوقت » .

ـ « من الواضح أنه خلق للتمشى فى الريف ، وحدى معك ، يا لينينا » .

ـ « لكننا يا برنارد ، سنكون وحدنا طوال الليل » . .

احمر وجه برنارد واشاح بوجهه ، ثم قال :
« أعنى وحدنا ، لكى نتحدث » .

ـ « نتحدث ؟ نتحدث فى ماذا ؟ » نتمشى ونتحدث .. هذا أسلوب غريب جداً لقضاء فترة ما بعد الظهر .

فى النهاية أقنعته على غير رغبة منه ، بالطيران الى امستردام لمشاهدة مباراة كره القدم النسائية النهائية على الكأس .

وقال متبرما : « فى الزحام ، كالعادة » . وظل طوال فترة ما بعد الظهر صامتا ، لا يرغب فى التحدث مع أصدقاء لينينا (الذين قابلت العشرات منهم فى بار آيس كريم سوما خلال فترة استراحة المباراة) ، وبالرغم من حالة الابتئاس التى كان عليها فقد رفض باصرار آيس كريم الشيكولاتة بالسوما الذى اشترته له ، **وقال :** « أود أن أكون نفسى . مبتئس لكن نفسى .. وليس شخصا آخر مبتهج بأي حال من الأحوال » .

فى طريق عودتهما فوق القنال ، أصر برنارد على ايقاف محركات الدفع الأمامية للهليوكوبتر وترك الطائرة تحوم على بعد مائة قدم فوق الامواج . وتحول الجو الى أسوأ . فقد اندفعت ريح غربية جنوبية ، وتلبدت السماء بالغيوم . **وقال فجأة :**

ـ « انظرى » .

ـ « لكن ذلك فظيع » ، قالت لينينا ذلك وأدارت وجهها بعيدا عن النافذة . كانت مرتعبة من اندفاع الليل البهيم ، والأمواج المتلاطمة بلا نهاية تحتهم ، ووجه القمر الشاحب بين السحب المتسابقة .

ـ « دعنا نستمع الى الراديو ، بسرعة » ومدت يدها الى المفتاح وأدارته . وانطلق ستة عشر صوتا فى منتهى الحلاوة « ... زرقاء هى السماء بداخلك ، دائما ما يكون الجو » ...

ثم سمعت صوت تكة وعم السكون . لقد أغلق برنارد الراديو .

وقال : « أود أن أتطلع الى البحر فى هدوء . لايمكن أن أتأمله مع كل تلك الضوضاء المنبعثة من الراديو » .

ـ « لكنها أغنية جميلة . وأنا لا أريد التطلع الى البحر .

فأجاب : « لكننى أريد ، ان ذلك يجعلنى أشعر كما لو أننى ... » وتردد بحثا عن الكلمات التى يعبر بها عن نفسه : « كما لو اننى أكون نفسى أكثر ، اذا كنت أدركت ما أقصد . أكون نفسى أنا ، وليس جزءا من شيء آخر . الا يجعلك ذلك تشعرين على هذا النحو ، يا لينينا » ؟

لكن لينينا كانت تبكى : « شيء فظيع ، فظيع » وظلت تردد ذلك . « ورغم ذلك ، فنحن جزء من شيء آخر . كل انسان يعمل من أجل الآخرين . لا نستطيع أن نحيا دون الآخرين . حتى الابسيلون ... » .

فأجاب برنارد بمرارة : « أجل ، أعرف ، حتى

الابسيلون لهم فائدة ! وكذلك أنا . فلتحل بى اللعنة لو كنت أرغب فى غير ذلك ! » .

صدمت لينينا بهذه الكلمات . **وقالت وعيناها مليئتان بالدموع** : : « برنارد ! كيف يتسنى لك أن تفكر فى مثل هذه الأشياء » ؟

ـ « كيف يتسنى لى ؟ » .. رددها وهو غارق فى التفكير .. « كلا . المشكلة الحقيقية تكمن فى : كيف لا افكر ـ أو بالأحرى ـ لاننى أعلم تماما لماذا لا استطيع ـ وماذا يكون عليه الوضع لو استطعت ، لو اننى كنت حرا ـ ولست عبدا لظروفى » ؟

ـ « لكنك ، يا برنارد ، تقول أشياء مخيفة جدا » ؟

ـ « الا تودين أن تكونى حرة ، يا لينينا » ؟

ـ « انا لا أعرف ما ترمى اليه . أنا حرة . حرة فى استغلال وقتى كيفما أشاء . كل الناس سعداء هذه الأيام » .

فضحك وقال : « **أجل ،** (كل الناس سعداء هذه الأيام) فنحن نبدأ فى اعطاء ذلك للأطفال فى سن الخامسة . لكن الا ترغبين فى ممارسة حريتك بطريقة أخرى ، يا ليننا ؟ . بطريقتك الخاصة ، على سبيل المثال ، وليس بطريقة كل انسان آخر » .

فاجابت : « أنا لا أعرف ما ترمى اليه » .

ثم التفتت اليه **وقالت له برجاء :** « أوه ، دعنا نعد ، يا برنارد . فأنا أكره المكان هنا » .

ـ « ألا تحبين أن تكونى معى ؟ » .

ـ « أجل ، بالطبع ، يا برنارد ! لكن هذا المكان مريع » .

ـ « كنت أظن أننا قد نكون أكثر .. أكثر اقترابا من بعضا هنا .. حيث لاشىء سوى البحر والقمر . أكثر قربا من أن نكون فى مكان مزدحم ، أو حتى فى حجرتى ، ألا تدركين ذلك » .

فقالت بحزم : « أنا لا أدرك اى شىء ، لماذا

لا تتناول حبوب السوما على أقل تقدير ، عندما تنتابك مثل هذه الأفكار المخيفة . فتنسى كل شيء بخصوص ذلك . وبدلا من الاحساس بالبؤس ، سينتابك الاحساس بالبهجة » .

تطلع اليها فى صمت . **وقال فى صوت واهن مجهد** : « لا بأس اذن ، سوف نعود » ودفع الطائرة بحدة الى أعلى السماء ، ثم جذب ذراع التسيير الى الأمام . وطارا فى صمت لدقيقة أو دقيقتين . ثم فجأة بدا برنارد يضحك . واعتبرت لينينا ذلك شيئا فى منتهى الغرابة ، رغم أنه لم يكن سوى ضحك .

سألته فى رقة : « أتشعر بتحسن » ؟

وردا على سؤالها رفع احدى ذراعيه من فوق عصا القيادة ولفها حول وسطها .

فقالت لنفسها : « شكرا ، لفورد ، لقد عاد لحالته الطبيعية مرة أخرى » .

بعد مضى نصف ساعة كانا فى حجرته . وابتلع برنارد أربعة أقراص من السوما ، وفتح الراديو والتليفزيون .

سألته لينينا بابتسامة عندما تقابلا بعد ظهر اليوم التالى فوق السطح : « هاى ، ما رأيك فى الأمس ، ألم يكن ظريفا ؟ » . هز برنارد رأسه . وصعدا الى الطائرة ، وانطلقا .

وسألته قائلة :

ـ « أترى اننى متميزة ؟ » .

هز رأسه وقال : « فى كل شىء ؟ » .

ثم قال بصوت مرتفع : « متميزة جدا » ..

وقال لنفسه : « انها تفكر فى نفسها فقط » .

ابتسمت لينينا برضا . لكن سرعان ما بدا على وجهها نوع من خيبة الأمل .

ـ ثم واصل كلامه بعد فترة صمت وقال :

« على اية حال كنت أتمنى أن ينتهى لقاء أمس نهاية مختلفة » .

وبدأ يتكلم كثيرا عن الهراء الخطير الذى لم تستطع أن تفهمه . **وقال** : « أنا أريد أن أدرك معنى العاطفة ، أريد أن أشعر بشيء أقوى . نحن جميعا نتمتع بذكاء كبير فيما يختص بعملنا ، لكننا أطفال من حيث المشاعر والرغبات ، وهذا مهم » .

ـ « لكن فورد يحب الأطفال » .

وواصل برنارد كما لو انها لم تنطق . « لقد انتابنى فجأة بالأمس احساس بأنه من الممكن أن أتصرف كانسان راشد طول الوقت » .

ـ « أنا لا أفهم » .. قالت لينينا ذلك بنبرة حاسمة .

ـ « أعرف أنك لا تفهمين . وهذا هو السبب الذى جعلنا نقضى الوقت سويا يوم أمس ـ كالأطفال ـ بدلا من أن نكون ناضجين وننتظر » .

ـ « لكن الأمر كان رائعا ، أليس كذلك » ؟ قالت لينينا باصرار .

ـ « أوه ، فى منتهى الروعة » . أجاب عليها بصوت حزين جدا ، ونبرة ملؤها الأسى الشديد . لدرجة ان احساس لينينا بالزهو تلاشى فجأة . فربما اكتشف أنها سمينة جدا بعد كل ما حدث .

* * *

كان كل ما قالته فانى عندما حكت لها لينينا كل ذلك : « لقد قلت لك من قبل ، ان أحد العمال قد ارتكب خطأ عندما كان برنارد جنينا فى الزجاجة » .

قالت لينينا باصرار : « على أية حال ، فأنا معجبة به حقا ، فيداه رائعتان للغاية . والطريقة التى يحرك بها كتفيه جذابة جدا ، وتنهدت . « لكن كم كنت أتمنى ألا يكون غريبا الى هذا الحد » .

* * *

توقف برنارد أمام باب حجرة المدير للحظة . وسحب نفسا عميقا وتهيأ لمواجهة الرفض وعدم الترحيب الذى سيجده بالتأكيد فى الداخل .

ـ « أرجو أن توقع يا سيادة المدير » قال ذلك

بمنتهى الهـدوء على قدر ما يسـتطيع وهو يضـع الطلب على المكتب .

وتطلع اليه المـدير شزرا . لكن لمـا كان ختم مكتب الحاكم العام موجودا بأعلى الطلب وكذلك امضاء الحاكم العام ، « مصطفى موند » واضحا بلون أسـود فى أسفل الطلب ، لم يجد المدير بدا من الموافقـة . خاصة وان كل شىء مضبوط .

وكتب تعليقه تحت التوقيع بالقلم ، ولفت نظره، وهو على وشـك اعادة الطلب دون تعليق ، شىء ، مكتوب فى الطلب .

فقال وهو ينظر الى برنارد بنوع من الدهشـة :

« بتصريح لزيارة معسكر عزل نيو مكسيكو » ؟

فهز برنارد رأسه مندهشا لدهشته ، وحدث صمت .

اضطجع المدير الى الوراء فى كرسيه ، وهو غارق فى الأفكار . « منذ متى كان ذلك ؟ » قال ذلك لنفسه

اكثر منه الى برنارد .. منذ عشرين عاما على ما أعتقد . بل منذ خمسة وعشرين عاما تقريبا . كنت فى سنك تقريبا .. » تنهد وهز رأسه .

أحس برنارد بعدم راحة متناهية . وتساءل عما يمكن أن يقوله المدير بعد ذلك .

ـ « كانت لدى نفس الفكرة مثلك » واصل المدير كلامه . « كنت أرغب فى القاء نظرة على الهمجيين . حصلت على تصريح لنيو مكسيكو ، وذهبت الى هناك خلال اجازتى الصيفية مع فتاة كانت برفقتى فى تلك الآونة ، كانت من فصيلة « بيتا ، سالب » على ما أظن » (وأغلق عينيه) كان شعرها أصفر .. اذكر ذلك . حسن ، وذهبنا الى هناك ، وألقينا نظرة على الهمجيين ، وركبنا الخيول وما الى ذلك بعد ذلك ، وكان آخر يوم فى اجازتى تقريبا .. حدث أن تاهت منى . فلقد ذهبنا لنتسلق واحدا من تلك الجبال الفظيعة ، وكان الجو حارا جدا ، ولاتوجد نسمة هواء ، وبعد الغداء ذهبنا للنوم . أو بالأحرى نمت أنا . ويبدو أنها خرجت للتمشى ، وحدها .

ذلك اننى عندما استيقظت لم تكن موجودة . وهبت عاصفة رعدية مخيفة لم أر مثيلا لها فى حياتى . وهطلت الأمطار سيولا وأبرقت السماء وأرعدت . وفزعت الخيول وفرت هاربة . وسقطت وانا أحاول الامساك بها ، وجرحت ركبتى ، وكنت أمشى بصعوبة. وظللت أبحث عنها وأنادى وأبحث . لكن لم يوجد لها أى أثر . فاعتقدت انها ربما تكون قد عادت الى الاستراحة وحدها . وهكذا زحفت عبر الوادى فى نفس الطريق الذى جئنا منه . كانت ركبتى تؤلمنى جدا ، كما اننى فقدت حبوب السوما ، واستغرق منى ذلك عدة ساعات ، ولم أصل الى الاستراحة الا بعد منتصف الليل . ولم تكن موجودة ، لم تكن موجودة » كرر المدير ذلك . ثم حدث صمت .. ثم واصل كلامه أخيرا **وقال** : « فى اليوم التالى جرت عملية بحث . لكننا لم نعثر عليها .. لابد أنها سقطت فى شق صخرى : فى مكان ما ، أو افترسها اسد جبلى . فورد هو الذى يعلم . كان الوضع فظيعا بأى حال من الأحوال . وكدرنى كثيرا جدا فى ذلك الوقت . أكثر من أى شىء آخر حدث » .

ـ « كان لابد أن تصاب بصدمة شديدة » ، قال برنارد ذلك بنوع من الحسد .

وعندما سمع المدير ذلك نظر بحدة الى برنارد وناوله التصريح . فغضب من نفسه لأنه حكى له تلك الحادثة القديمة فى حياته ، وصب جام غضبه على برنارد . فكانت نظرته فى تلك اللحظة تنم عن غضب شديد **وواصل كلامه قائلا :** « أحب أن أنتهز هذه الفرصة يا سيد ماركس ، لأحيطك علما بأننى لست راضيا تماما عن تقارير سلوكك خارج العمل ، قد تقول ان هذا ليس من شأنى ، لكنه كذلك . اذ ينبغى على أن أحافظ على السمعة الطيبة للمركز ، كما تعلم . فلابد أن يكون موظفى فوق مستوى الشبهات ، خاصة ذو المستويات العليا . ولذا يا سيد ماركس فأنا أود أن ألفت نظرك . واذا حدث ووصلتنى أى شكوى مرة ثانية عن أى انحراف أو كسر لقواعد السلوك الاجتماعى ، فسوف أطلب نقلك الى مركز اقليمى ، ربما فى ايسلندا . « مع السلامة » وأشاح عنه بوجهه ، والتقط قلمه وبدأ يكتب .

ـ « سيكون ذلك درسا له » ، قال المدير لنفسه. لكنه كان مخطئا . لأن برنارد قد ترك الحجرة وكله احساس بالابتهـاج لأنه يقف وحده ضد كل التعليمات الاجتماعية ، وباحسـاس بأهمية تفرده ، ولم يكن خائفا على الاطلاق من تهديدات المدير . وشعر بأنه قوى بما فيه الكفـاية لمواجهـة أى معاملة خشنة ، أو حتى الذهاب الى أيسلندا .

وكان على يقين بأنه بأى حـال من الأحوال لن يكون مضطرا لمواجهـة أى شيء على الاطلاق . فالناس لم تتأثر بأشياء مثل هـذه فأيسلندا لم تكن أكثر من تهديد . وأثناء سيره فى الردهة كان يصفر .

* * *

كانت الرحلة هادئة تماما . ووصـل صـاروخ الباسفيك الأزرق قبل ميعاده بدقيقتين ونصف الى نيو أورليانز ، وكان قد تعرض لعاصفة فوق تكساس ضيعت دقيقتين ، لكنه انطلق بعد ذلك فى جو صاف ، واسـتطاع أن يهبط فى « سانتا فى » بأقل من اربعين ثانية بعد الوقت المحدد .

وقالت لينينا : « ست ساعات ونصف وأربعون ثانية ، طيران . لا بأس » .

وقضيا تلك الليلة فى « سانتا فى » . ووجدت لينينا كل ما ترغبه من وسائل الراحة .

وحذرها برنارد قائلا : « لن يكون هناك أشياء مثل هذه فى المعسكر ، لا تليفزيون ، ولا حتى ماء ساخن . لا ينبغى أن يذهب الى هناك الا من يرغب حقيقة فى ذلك » .

ـ « لكننى أود الذهاب فعلا » .

ـ « اذن ، اتفقنا » .

كان التصريح يتطلب توقيع المشرف على منطقة العزل ، الأمر الذى يتطلب ذهابهما الى مكتبه صباح اليوم التالى . كان مليئا بمعلومات لا فائدة منها ، وارشادات بديهية لا تحتاج لسؤال . وما ان بدأ المشرف الكلام حتى واصل بنفس الصوت العالى الممل :

« ... خمسة آلاف ، وخمسمائة كيلو متر مربع ، مقسمة الى أربع مناطق ، بمثابة معسكرات صغيرة ، كل معسكر محاط بسور مكهرب . ليس هناك مجال للهرب ، فالذين يولدون فى المعسكر ـ وتذكرى يا سيدتى ، أن أطفال هذه المعسكرات « يولدون » ، نعم ، حقيقة يولدون ، وربما يبدو ذلك مقززا ـ هؤلاء يقضون حياتهم كلها هناك ويموتون هناك . يوجد حوالى ستة آلاف هندى ، ومهجنون .. وهمجيون تماما .. ، ومفتشونا يزورون المنطقة من حين لآخر .. والا ، فلن يكون هناك أى تواصل مع العالم المتمدين .. ما زالوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم المخجلة .. الزواج ، اذا كنت تعرفين معنى الزواج ، يا سيدتى ، العائلات .. لا يوجد أى نوع من أنواع التكيف .. خرافات فظيعة .. ومعتقدات مثل ذلك .. لغات ميتة مثل الاسبانية .. حيوانات مفترسة متوحشة .. أمراض معدية .. أفاع سامة » .

واخيرا خرجنا . ووصلتهما رسالة على الفندق

بناء على تعليمات المشرف ، تفيد بأن أحد حراس المعسكر قد جاء بطائرته وفى انتظارهما على السطح .

احتلا مقعديهما فى الطائرة وانطلقت . بعد مضى عشر دقائق كانا يعبران الحدود الفاصلة بين الجزء المتمدين والجزء الهمجى . كان السور المحيط بالمنطقة يمر على قمم تلال وسفوحها وعبر صحراوات مالحة ورملية وخلال غابات ، وأودية عميقة ، وسهول متسعة وقمم جبال عالية . وعند أسفل السور ، كانت هناك هياكل من العظام البيضاء ، ملقاة على الأرض حيث اقترب جدا حيوان مفترس من الأسوار المميتة .

ـ « لن يتعلموا أبدا » . قال الطيار ذلك وهو يشير الى الهيكل العظمى تحتهم « ولن يتعلموا أبدا » أعادها ثانية ، وضحك كما لو كانت نكتة .

كان برنارد قد تناول جرامين من السوما ، واستغرق فى النوم ، واستيقظ أخيرا ليجد الطائرة رابضة على الأرض ، ولينينا تحمل حقائبها الى منزل

صغير مربع ، والطيار يتحدث بلغة ما مع هندى ، ولم يستطع أن يفهم اى شىء .

وقال الطيار : « وهذه هى الاستراحة . سيقام بعد ظهر اليوم حفل راقص فى القرية . وهو سيصحبكم (وأشار الى شاب همجى ، بدا عنيدا) ستكون حفلة طريفة ، أتوقع ذلك . كل شىء يفعلونه طريف جدا » . بهذه الكلمات صعد الى طائرته وبدأ ادارة المحرك ، **وقال :** « الى اللقاء غدا . وتذكرى انهم هنا فى منتهى الوداعة . لن يسبب لك الهمجيون أى ضرر ، فهم على دراية تامة بما تفعله قنابل الغاز . اذا ما حاولوا القيام بأى نوع من الغدر » . وأدار عصا القيادة وانطلق فى الجو واختفى .

تم التحميل من مكتبتي

الفصل السابع

منطقة صخرية مرتفعة مسطحة تطل على سهل ترابى اصفر ، تقع وسط واد تحوطه حقول خضراء ، يتخللها نهر يجرى بين شاطئين عاليين منحدرين . فوق قمة هذه المنطقة الصخرية توجد قرية « مالبيز » الهندية ، وبدت البيوت الطويلة على مدرجات الصخور بطوابقها التى يقل حجمها كلما ارتفعت بدت وكأنها تشق السماء الزرقاء . وأسفل هذه البنايات المرتفعة تقبع مجموعة من البيوت المنخفضة تنتشر بلا نظام . يحد كل منها أسوار تتقاطع مع بعضها ، فوق الجوانب الثلاثة للسفح ، وتصل الى أسفل حتى السهل ، وتصاعدت بعض أعمدة من الدخان فى الهواء الساكن ، ثم تلاشت .

قالت ليينا : « شىء غريب ، غريب جدا » .. فلقد كانت تطلق كلمة غريب على أى شىء لا يعجبها ..

مركز التحميل من مكتبتي

« أنا لا أحبه ، أنا لا أحب ذلك الرجل ! » .. وأشارت الى المرشـــد الهندى الذى عين ليأخذها الى القرية . وكان من الواضح أنه لا يحبهما أيضـــا ، حتى أن كل جزء من ظهره أثناء سيره كان يعبر عن كراهيته لهما .

وخفضت صوتها وقالت : « هذا بالاضافة ، الى رائحتـــه » .

لم يحـــاول برنارد أن ينـــكر ذلك ، وواصـــلا سيرهما .

وفجأة بدا كمـــا لو أن الهواء كله يدق ، يدق بحركة دموية لا تكل . لقد كانت الطبول تدق هنـــاك فى « مالبيز » . وبدأت أقدامهمـــا تتوافـــق مع تلك الايقاعات الغامضة .

وبدأوا يسيرون بخطى أسرع . وقادهم الطريق الى أسفل الصخرة . كانت جوانبها ترتفع فوقهم مثل برج ضخم بارتفاع قدره ثلاثة آلاف قدم .

وقالت لينينا : « كنت أتمنى لو أحضرنا الطائرة معنا » . وتطلعت بكراهية الى واجهة الصخرة الصماء الجاثمة فوقهما . **واستطردت :** « أنا أكره المشى . الانسان يشعر بضآلته الشديدة عندما يسير على الأرض فى أسفل التل » .

سارا فى ظل الصخرة لمسافة ما ، ثم دارا حول ناحية ، ومرا بمجرى نهر جاف أهلكته المياه فى سالف الأزمان حتى وصلا الى بداية طريق صاعد . فصعدا معه .. كان ممرا شديد الانحدار ملتويا .. وفى بعض الأحيان كان ينقطع هدير الطبول ، وفى أحيان أخرى ، يبدو وكأنه فى الناصية القريبة .

وبينما كانا فى منتصف الطريق ، اذا بنسر يطير فوقهما وكان قريبا جدا لدرجة أنهما شعرا بريح باردة تكتسح وجهيهما من أثر جناحيه . وفى أحد الشروخ الصخرية كانت توجد كومة من العظام ، كان شيئا مرعبا بدرجة كبيرة ، بالاضافة الى رائحة الهندى النفاذة التى غدت أكثر وأكثر قوة ، وأخيرا خرجا من

هذا الممر حيث ضوء الشمس . حيث قمة صخرية مسطحة .

قالت لينينا وهى تذكر نفسها بشيء مألوف لها :
« مثل برج تشارنج تى » .. لكن لم تكد ترتكن الى تلك المقارنة المريحة حتى سمعا صوت اقدام خفيفة جعلتهما يلتفتان حولهما ، فاذا بهنديين يجريان عبر الممر ، وعاريين من عند الرقبة الى وسطيهما . وكان حسداهما البنيان مخططين بخطوط بيضاء (مثل ملعب التنس ، كما شرحت لينينا مؤخرا) ويعلو وجهيهما مسحة متوحشة مدهونة باللون الأحمر والأسود والأصفر ، وكأنهما لا ينتميان للجنس البشرى .

وكان شعرهما الأسود مضفرا بشرائط حمراء وشيء من فراء الثعلب . ويتهدل على كتفيهما مئزران من ريش الطيور ، وفوق جبهتيهما زينة لامعة ملونة . ومع كل خطوة يخطوانها كانت تسمع صلصلة الأساور الفضية التى تزين سواعدهما ، وكذلك عقدان ثقيلان يتدليان من رقبتيهما ويتكونان من العظام والأحجار

الملونة .. وصـــلا بهـدوء وهمـا يجريان بخفيهمـا المصنوعين من جلد الوعل . وكان أحدهما يمسـك بفرشاة من الريش ، فى حين كان الآخر يمسـك فى كلتا يديه ما بدا من على بعد وكأنه ثلاثة أو أربعـة قطع من الحبال الغليظة . تحرك أحد الحبال وتلوى وفجأة اتضح لليننا أنها ثعابين .

اقترب الرجلان أكثر وأكثر . وتطلعت أعينهما اليها دونما أدنى علامة على أنهما رأياها أو شـعرا بوجودها . ومر بهما الرجـلان والثعبان المتلوى مازال معلقا على رسغه مع بقية الثعابين .

قالت لينينـا : « أنا لا أحب ذلك ، لا أحـب ذلك » .

لكنها تقبلت بدرجة أقل ما لقيته عند مدخـل القرية ، عندما تركهم مرشـدهم وذهب الى الداخـل ليتلقى التعليمات .

القذارة فى البداية ، وأكوام القمامة ، والتراب ،

والكلاب ، والذباب . وتجمد وجهها من التقزز . ووضعت منديلها على أنفها .

وصرخت قائلة ، وهى لا تكاد تصدق عينيها : « كيف يتسنى لهم أن يعيشوا على هذا النحو » ؟

فقال برنارد : « لقد عاشوا على هذا النحو منذ خمسة أو ستة آلاف سنة ، ولذلك فأنا أعتقد انهم لابد أن يكونوا قد تعودوا على ذلك » .

فقالت باصرار : « ان عدم النظافة تالية لانكار الفوردية »

فقال برنارد مبتسما : « نعم ، والمدنية هى التطهير ، لكن هؤلاء الناس لم يسمعوا أبدا عن فورد ، ولذا فهم غير متمدينين . لذلك فليس هناك أهمية لأن ... »

وقبضت على ذراعه وقالت : « أوه انظر ! » .

كان هناك رجل هندى عار تقريبا ينزل ببطء على سلم خشبى من شرفة الدور الأول لأحد المنازل

باضطراب وخوف بسبب تقدمه فى السن . كان وجهه أسود مجعدا بعمق . وفمه كان خاليا من الأسنان . وفى كل ركن من شفتيه وعلى كل من جانبى ذقنه تتدلى شعيرات قليلة بيضاء على بشرته السوداء . أما شعره المشوش فكان يتدلى حول وجهه . كان جسده محنيا ولا شىء فيه سوى جلد على عظم . كان يهبط ببطء شديد ، ويتوقف عند كل نقلة قدم ، قبل أن يضعها على الدرجة الأسفل .

همست لينينا : « ما بال ذلك الرجل ؟ » واتسعت عيناها رعبا ودهشة .

فاجاب برنارد دون اهتمام بقدر ما يستطيع : « انه رجل عجوز ، هذا كل ما فى الأمر » . رغم انه فى الحقيقة كان منزعجا جدا ، لكنه بذل مجهودا ليبدو متماسكا .

فرددت قائلة : « عجوز ؟ لكن المدير عجوز . كثير من الناس عواجيز ، لكنهم ليسوا على هذا النحو » .

ـ « ذلك لأننا لا نسمح لهم بأن يصبحوا كذلك . فنحن نقيهم من المرض . نحافظ على أجسادهم فى حالة جيدة بالأساليب العلمية . فنحن نمدهم بدماء شابة على فترات منتظمة . ونعمل على أن يسير الهضم عندهم بشكل جيد وتام . لذلك ، وبطبيعة الحال لا يبدون على هذا النحو » . **ثم أضاف قائلا :** « مع الأخذ فى الاعتبار ، أن معظمهم يموتون قبل أن يصلوا الى سن هذا الكائن العجوز . ان قوة الشباب تظل بكامل قواها حتى سن الستين ، ثم يحدث انهيار .. بعدها النهاية » .

لكن لينينا لم تكن تصغى اليه . كانت تراقب الرجل العجوز . الذى وصل ببطء شديد الى أسفل . وعندما لمست قدماه الأرض . التفت . كانت عيناه الغائرتان لا تزالان تلمعان بشكل غير عادى ، وتتطلعان اليها للحظة طويلة دون أى تعبير ، ودون دهشة ، كما لو أنها غير موجودة على الاطلاق . ثم تحرك الرجل بظهره المحنى ، وسار متألما ومر بهما . واختفى .

همست لينينا قائلة : « لكن ذلك شيء متعب ، شيء فظيع . لم يكن ينبغى أن نحضر الى هنا » . وبحثت فى جيبها عن أقراص « الســـوما » ، لتكتشف أنها نسيت الزجاجة بأكملها فى الاستراحة . وكذلك كان جيب برنارد خاويا .

وتحتم على لينينا أن تواجه رعب قرية « مالبيز » دون أى عون وتجمهر الكل حولها . وجعلهـــا منظر امراتين ترضعان طفليهما ، تحمر خجلا فأدارت وجهها بعيـــدا . اذ انهـــا لم تر شـــيئا سبب لها مثل هـــذه الصدمة طوال حياتها . ومما زاد الأمور ســـوءا أن برنارد بدلا من التظاهر بعدم ملاحظة ذلك ، ظل يبدى ملاحظاته حول ذلك المشهد الحيوانى المقزز . وواصل حديثه على هـــذا النحو ليعرفها كيف كانت طبيعـــة الانسان وأصوله .

فى هذه اللحظة عاد مرشدهما ، وأشار اليهما ان يتبعاه ، وقادهما عبر شارع ضيق بين البيوت . حيث كلب ميت ملقى فوق كوم قمامة ، وامرأة ذات

رقبة منتفخة بشكل سيىء تحاول تنظيف شعر بنت صغيرة . ووقف مرشدهم عند قدمى سلم خشبى ، ثم أشار الى أعلى والى الأمام . أطاعا اشارته ، وصعد السلم ، ثم دخلا من خلال مدخل بأعلى ، الى حجرة ضيقة ، مظلمة الى حد ما ، تنبعث منها رائحة دهن مطبوخ وملابس قذرة . وفى نهاية الحجرة كان هناك باب آخر ، تدخل منه أشعة الشمس ، وهدير الطبول العالى جدا .

عبرا ذلك الباب ووجدا نفسيهما فى شرفة متسعة ، تطل على ميدان القرية الذى تحده البيوت العالية من جميع الجهات ، وقد ازدحم بالهنود . يلتفون بملاءات ناصعة ، ويزينون شعورهم السوداء بالريش ، وحليهم لامعة ، وبشرتهم السوداء تتألق بسبب الحرارة . وضعت لينينا منديلها على أنفها . وفى مكان متسع فى وسط الميدان ، كان يوجد منصتان مستديرتان من الطوب والطين . وكان من الواضح انهما سطحان لغرف أرضية ، لأن كل منصة كان يوجد بها غطاء متحرك ، به سلم قادم من أسفل ،

حيث الظلمة . وسمع صوت عزف لآلة فلوت قادم من أسفل ، لكنه كان يضيع أحيانا خلال ايقاعات الطبول المنتظمة .

كانت لينينا تحب الطبول . فأغلقت عينيها وأخذت تصغى لهديرها المتكرر الرقيق ، لكنها فزعت فجأة بانفجار غنائى ، صدر من حناجر مائتى رجل يغنون معا بصوت عال أجش عنيف .. استمر الغناء لفترة قصيرة ، ثم حدث صمت ، وردت عليهم امرأة ، تغنى بصوت عال حاد ، ثم عاودت الطبول هديرها مرة ثانية ، ثم صوت هدير عميق للرجال مرة ثانية .

فجأة خرج من تلك الحجرات السفلية مجموعة من الكائنات الغريبة المفزعة . بعضهم يرتدى أقنعة قبيحة ، والبعض الآخر طلى وجهه ، وبدوا وكأنهم لا يمتون للبشر بشىء . وتحلقوا فى رقصة غريبة فى الميدان . وأخذوا يدورون ويدورون وهم يغنون .. يدورون ويدورون ـ وفى كل مرة أسرع قليلا ،

يصاحبهم قرع طبول أسرع ، حتى غدا أشبه بحمى دموية فى الآذان ، وشرعت الجموع تغنى مع الراقصين، أعلى وأعلى ، وصرخت امرأة فى البداية فتبعتها باقى النسوة ، ثم واحدة أخرى وأخرى ، كما لو انهن قد قتلن ، وفجأة غادر قائد مجموعة الرقص الدائرة ، واندفع ناحية صندوق خشبى ، موجود عند نهاية الميدان ، ورفع غطاءه والتقط زوجا من الثعابين السوداء .

ندت صرخة فظيعة من الجمع ، وهرع ناحيته كل الراقصين وأذرعهم ممدودة . فألقى بالثعابين لأولئك الذين وصلوا أولا ، ثم مد يديه فى الصندوق وأخرج المزيد من الثعابين . وبدأت الرقصة مرة ثانية ، لكن بايقاع مختلف ، واخذوا يدورون بثعابينهم ، ويتلوون ويلتفون بأجسادهم كما لو كانوا ثعابين .. يدورون ويدورون . ثم أعطى القائد اشارة ، فأخذ كل فرد بعد الآخر ، يلقى بالثعابين وسط الميدان .

وخرج رجل عجوز من الغرف التحتية ونثر فوقهم دقيق القمح ، وخرجت من غرفة أخرى امرأة،

أخذت ترش عليهم ماء من جرة سوداء . ثم رفع الرجل العجوز يده ، وفجأة ، حدث صمت تام . توقفت الطبول عن القرع ، وبدا كما لو أن الحياة وصلت الى نهايتها . وأشار العجوز الى المدخلين المؤديين الى العالم السفلى .

وارتفعت ببطء من أسفل صورة لنسر ، تدفعها أياد خفية ، من أحد المدخلين ، ومن الآخر ظهرت صورة لرجل عريان مصلوب . وصفق الرجل العجوز بيديه . فقفز من وسط الجموع فتى فى سن الثامنة عشرة ، عار تقريبا ، فيما عدا قطعة من قماش قطنى أبيض تلتف حول وسطه ، ووقف أمامه ويداه متقاطعتان فوق صدره ، ورأسه محنية الى الامام . ورسم الرجل لعجوز علامة الصليب فوقه وابتعد عنه.

وبدأ الفتى يمشى ببطء حول كومة الثعابين الملتوية . ومن بين جموع الراقصين تقدم نحوه رجل طويل يرتدى قناع أسد جبلى وبيده سوط . وواصل الفتى سيره ، كما لو انه لم يلحظ تقدم الآخر.

رفع الرجل المقنع سوطه ، وحدثت فترة صمت طويلة، وسمعت فرقعة السوط فى الهواء ، ثم صوت ضربة سوط ثقيلة على جسم الفتى .

ارتج جسم الفتى ، لكن لم يصدر منه أى صوت ، وواصل سيره بنفس البطء ، بخطوات ثابتة. توالت ضربات السوط ، وعند كل ضربة كانت تسمع صرخة مكتومة ، أولا ، وبعدها أنة عميقة من الجموع . واصل الفتى سيره . ودار حول كومة الثعابين مرتين ، ثلاثة ، أربعة . والدماء تنزف منه . ودار للمرة الخامسة ، والسادسة . وفجأة غطت ليئينا وجهها بيديها وبدأت تبكى **وقالت بتوسل** : « أوه ، أوقفوا ذلك ، أوقفوا ذلك » .. لكن السوط كان يهوى ويهوى ، دون رحمة . وأكمل الدورة السابعة ، بعدها سقط الفتى فجأة على وجهه . دون أدنى صوت .

انحنى الرجل العجوز فوقه ، ولمس ظهره بريشة بيضاء طويلة ، ورفعها بعد لحظة ، حمراء بلون الدم ، لكى تراها الجماهير ، ثم هزها ثلاث مرات فوق

الثعابين . سقطت منها قطرات قليلة ، وفجأة بدأت الطبول تقرع ثانية فى ايقاع سريع جارف . حدثت صيحة عظيمة . واندفع الراقصون الى الأمام يلتقطون الثعابين ، وأسرعوا خارجين من الميدان . وأخذ الجميع ، رجال ونساء وأطفال يجرون خلفهم .

بعد دقيقة أصبح الميدان خاليا ، فيما عدا الفتى الذى يقى منطرحا على وجهه حيث سقط ، ساكنا تماما . وجاءت ثلاث نسوة من أحد البيوت وحملن الفتى بصعوبة الى داخل البيت . وظل النسر والرجل المصلوب كمراقبين لفترة قصيرة حتى أصبح الميدان خاليا . ثم اختفيا تحت الأرض بعيدا عن الأنظار فى العالم السفلى .

كانت لينينا ما تزال تبكى وتردد : « شىء فظيع جدا ، منتهى الفظاعة ! خاصة تلك الدماء .. ثم ارتعشت بشدة **وقالت :** « أوه ، أتمنى لو كان معى أقراص سوما » !

سمعت أصوات أقدام فى الحجرة الداخلية جلست لينينا دون حراك ، ووجهها مدفون بين يديها . وكل ما فعله برنارد هو أن التفت حوله

كانت ملابس الشاب الذى دخل الشرفة فى تلك اللحظة ، هندية ، لكن شعره كان بلون القش الأصفر ، وعيناه زرقاوان شاحبتان وبشرته بيضاء ، رغم أن الشمس لوحتها **وقال باللغة الانجليزية ولكن بلكنة غريبة :**

ـ « هاللو . صباح الخير » .

ثم **أكمل :** « أنتم متمدينون أليس كذلك ؟ أنتم من المكان الآخر ، بعيدا عن المعسكر ؟ » .

فقال برنارد بدهشة : « من أنت ... ؟ » .

تنهد الشاب وهز رأسه وقال : « فتى سيىء الحظ » وأشار الى الدماء الموجودة وسط الميدان . « هل ترون ذلك المكان اللعين » ؟ سألهم بصوت مرتعش متأثر .

وصاحت لينينا من خلف يديها : « أوه ، كم أتمنى لو كان معى حبوب السوما » ؟

وواصل الشاب كلامه : « كان يتحتم على أن أكون هناك ، لماذا لم يدعونى لأن أكون الضحية ؟ فقد كان بامكانى أن ألف عشر مرات ـ اثنتى عشرة مرة ، خمس عشرة . فى حين أن « بالوهوينا » لم يلف اكثر من سبع لفات . كان من الممكن أن يحصلوا على ضعف كمية الدم التى حصلوا عليها . تكفى لصبغ البحار الزاخرة » .

ورمى بذراعيه الى الأمام وتركهما تسقطان الى جنبيه فى يأس **وقال** : « لكنهم لم يسمحوا لى . انهم يكرهوننى بسبب لون بشرتى . وهى دائما على هذا النحو ، دائما . توقفت الدموع فى عينى الشاب . وأحس بالخجل ، فأشاح بوجهه بعيدا .

ولدهشة لينينا فقد نست كل شىء بخصوص السوما . ورفعت يديها من على وجهها ونظرت لأول

مرة الى الغريب **وقالت** : « هل تقصد ان تقول ، انك كنت تريد أن تضرب بذلك السوط » ؟

هز الشاب الغريب رأسه وقال : « من أجل القرية .. حتى ينزل المطر وينمو القمح . وأسعد الاله بوكنج ، ولكى أظهر الى اى مدى أستطيع تحمل الألم دون صراخ !

واصبح صوته أكثر حزما ، واستدار ناحيتها وهو يرفع رأسه بفخر **وقال** : « ولكى اظهر أننى رجل .. أجل ! » . وسحب نفسا عميقا حادا . وظل صامتا يحملق . فلقد شاهد لأول مرة فى حياته وجه فتاة ووجنتين ليستا بلون الشيكولاتة او جلد الكلب ، فتاة شعرها ذهبى ، وجميلة ، تنظر اليه برقة (وهذا شىء لم يتعود عليه) . فقد كانت لينينا تبتسم له . فقد كان فتى جميل الطلعة ، من وجهة نظرها ، وجسمه جميل متناسق .

احمر وجه الشاب خجلا ونكس عينيه الى أسفل ، وامتلأ باحساس جديد غريب ، لدرجة انه

التفت جانبا وتظاهر بشكل جاد بأنه يتطلع الى شيء آخر على الجانب الآخر من الميدان .

اندفع برنارد بسيل من الأسئلة من مثل ، من ؟ وكيف ؟ ، ومتى ؟ . وثبت الشاب نظره على وجه برنارد (لأن رغبته لرؤية ابتسامة لينينا كانت من القوة لدرجة أنه كان لا يجرأ على النظر اليها) . وحاول الشاب أن يعطيهم فكرة عن نفسه . فهو وليندا ـ (ليندا كانت أمه ـ وأبدت لينينا عدم ارتياح عند سماعها لذلك) غرباء عن معسكر العزل . فلقد حضرت ليندا من المكان الآخر ، منذ فترة طويلة ، قبل أن يولد مع رجل كان أباه . (وأنصت برنارد باهتمام) . خرجت تتمشى وحدها فى تلك الجبال هناك فى الشمال . فسقطت فى منحدر وأصيبت فى رأسها : (فقال برنارد بلهفة ، استمر ، استمر) وعثر عليها بعض الصيادين من مالبيز وأحضروها الى القرية ، لأن الرجل الذى كان أباه ، والذى لم تره ليندا أبدا مرة ثانية ، وكان اسمه توماكن (أجل توماس ، كان

اسمه الأول) قد طار عائدا الى المكان الآخر ؛ دونها ـ رجل سيىء ـ قاس ، رجل غير طبيعى .

ـ « وهكذا ولدت فى مالبيز ـ فى مالببز » . وأنهى كلامه بهزة من رأسه .

يا لقبح ذلك البيت الصغير على حدود القرية ! فقد كان يفصله عن القرية كم من التراب والقمامة ، وكان هناك كلبان يكادان أن يموتا جوعا يدسان أنفيهما بشراهة فى القمامة الموجودة أمام البيت . أما بالداخل ، عندما دخلا ، فقد قوبلا بالرائحة الكريهة القوية لهواء عطن ، كما أنه ملىء بطنين الذباب .

نادى الشاب : « ليندا » !

وجاء صوت امرأة محشرج من الغرفة الداخلية « أنا قادمة » .

وانتظروا قدومها . على الأرض كان يوجد وعاء به بقايا وجبة طعام ، أو ربما وجبات .

فتح الباب . ودخلت امرأة شقراء بدينة جدا وقفت تحملق فى الغريبين ، وفمها مفتوح من الدهشة . ولاحظت لينينا بشىء من الاشمئزاز أن سنتين من اسنانها الأمامية مفقودتان . ولون الأسنان الباقية .. لم تواتها الشجاعة للنظر اليها .

كانت سمينة جدا . ووجهها ملىء بالتجاعيد . وخداها متهدلان بلون قرمزى . وأرنبة انفها حمراء ، وعيناها بها شعيرات حمراء . ورقبتها .. يا لرقبتها ! والملاءة التى تلف بها رأسها — ممزقة وقذرة . ويتبدى على الجلباب البنى الذى ترتديه ثديان ضخمان ، وبطن مكورة .

كانت أسوأ بكثير من الرجل العجوز ، أسوأ بكثير ! وفجأة انفجر ذلك المخلوق بتيار متدفق من الحديث ، ثم اندفعت نحوها ويداها ممدودتان أوه ، فورد ، فورد ! كان الأمر فظيعا ، فقد كان من الممكن أن تصاب لحظتها بالغثيان ، لأنها احتضنت لينينا بشدة الى جسدها السمين وبدأت تقبلها .. أوه ،

فورد ! أن تقبل بمثل هذه القبل المبتلة ، بالاضافة الى رائحتها الفظيعة ، مما يؤكد أنها لم تستحم أبدا . كما أنها كانت محتسية شرابا قويا جدا . تخلصت لينينا منها بسرعة .. بأسرع ما يمكن وابتعدت عنها .

وحملقت فيها بوجه ملتو ، فقد كانت المرأة تبكى وتقول : « أوه ، يا عزيزتى ، يا عزيزتى ، لو تعرفين الفرحة التى تغمرنى .. خاصة بعد كل تلك السنين ! أرى وجهـا متمدينا ! أجل ، وملابس متمدينة .. لاننى لم أكن أعتقد انه ستتاح لى الفرصـة أبدا لرؤية قطعة حقيقية من الحرير الصناعى مرة ثانيـة . وهذا البنطلون القصير ! هل تعرفين يا عزيزتى ، اننى مازلت أحتفظ بملابسى القديمـة ، التى جئت بها الى هنا ، حفظتها بعيدا فى صندوق . سوف أريها لك فيما بعد . رغم أن الملابس كلها قد تهرأت بالطبع . اعتقد أن جون قد أخبركم بما عانيته .. لم يكن فى حوزتى جرام واحد من السوما ، فيما عدا شراب « الميسكال » من حين لآخر ، الذى تعود « بوب » أن يحضره ، وبوب هذا رجل كنت على علاقة به . وشراب « الميسكال »

هذا كان يجعلك تشعرين بالتعاسة والضيق فيما بعد بالاضافة الى الشعور الفظيع بالخزى الشديد ، فى اليوم التالى لتناوله . ولطالما انتابنى الخزى . ولك أن تتصورى ـ فأنا التى تنتمى لفصيلة ـ بيتا ـ يكون لدى طفل ، ضعى نفسك مكانى ! » .

(ومجرد الاقتراح جعل لينينا ترتجف) « رغم أن ذلك لم يكن غلطتى ، أقسم على ذلك . فأنا مازلت لا أعرف كيف حدث ذلك . فقد قمت بكل الاحتياطات اللازمة . لكن رغم ذلك حدث ، وبالطبع لا يوجد هنا مركز للاجهاض . وبالمناسبة ، هل مازال موجودا فى شلسى ؟ .. سألت ، وأومأت لينينا برأسها .

ـ « وهل ما زالت الأضواء فياضة يومى الخميس والجمعة ؟ » فهزت لينينا راسها ثانية .

ـ « وذلك البرج الزجاجى الوردى اللون ! » .. ورفعت « ليندا » وجهها الى أعلى وبعينين مغلقتين استحضرت فى ذهنها تلك الصورة البراقة ، **وهمست قائلة** : « والنهر أثناء الليل ، والعودة بالطائرة فى

المســـاء بعد لعب مباريات الجولف » .. وانحـدرت الدموع بطيئة من تحت جفنيها المغلقين .

سحبت نفسا عميقا ، وهزت رأســها ، وفتحت عينيها ونفضت أنفها بأصابعها ومسحتها فى ملابسها . وقالت عندما رأت تقزز ليننا : « أوه أنا آســفة ، لم يكن ينبغى على أن أفعل ذلك . لكن ماذا يجب على أن أفعل اذا لم تكن هنــاك مناديل ؟ » .

وهوت ليندا برأسها وقالت : « لقد حاولت أن أخبرهم عن خطورة انتشار الأمراض وضرورة الاهتمام بالنظافة عندما جئت الى هنا ، لكنهم لم يفهموا . وفى النهاية يبدو اننى تعودت على ذلك . وعلى أى الأحوال، كيف يتسنى للانسان أن يحــافظ على نظافة الأشياء طالمــا لا توجد صنابير مياه ساخنة . انظرى الى تلك الملابس . هــذا الصوف الفظيع ، أليس شبيها بالمواد الصناعية . لا يبلى أبدا . بل تبقى وتبقى ، وينبغى عليك رتقها اذا تمزقت . أنا من فصيلة بيتا . وقمت بالعمل فى غرفــة الاخصــاب . ولم يعلمنى أحد أبدا

القيام بمثل هذه الأعمال ، ليس هـذا عملى . هذا بالاضافة لأنه ليس من السليم أن نقوم باصلاح الثياب. فالمفروض أن نلقيها عنـدما تبلى ونشـترى اخرى جديدة . « احتياج كثير ، وثراء أقـل » كل شيء مختلف هنا . كأنك تعيش وسط أناس مجانين » .

ثم **خفضت صوتها وقالت** : « خذى مثلا تلك الطريقة التى ينجبون بها . شيء مجنون ، أقول لك ، جنون مطبق . فكل شخص ينتمى الى شخص آخر ، أليس كذلك ؟ » قالت بهمس وهى تشد كم لينينا . هزت لينينا رأسـها وأشاحت برأسها بعيداً بسبب رائحة نفس ليندا . **وواصلت كلامها قائلة** : « فعلى سبيل المثال ، ليس مسموحا لأى امرأة بالارتبـاط بأكثر من شخص واحد . ولو انك التقيت بالرجـال بالشكل العادى يعتقد الآخرون انك انسانة سيئة . ذات مرة جاءتنى مجموعة من النساء وصرخن فى ، لأن رجالهن يحضرون لزيارتى . . فقلت ولم لا ؟ وعندئذ اندفعن ناحيتى . . كان شيئا فظيعـا . لا أستطيع أن أخبرك بما حدث » . وغطت « ليندا » وجهها وبدأت

تبكى ، « النساء هنا ، فى منتهى الحقد والكراهية . مجنونات ، مجنونات وقاسيات . فهن لا يعرفن اى شىء بالطبع ، عن الزجاجات ولا التلقيح الصناعى ، أو اى شىء من ذلك القبيل ، ولذا فهن ينجبن أطفالا طوال الوقت .. مثل الكلاب . شىء مقزز جدا . وكلما فكرت فى اننى أنجب .. أوه ، فورد ! فورد ، فورد ! رغم أن وجود جون يمثل راحة عظيمة بالنسبة لى . لا أدرى ماذا كنت أفعل بدونه . رغم أنه كان يتضايق جدا عندما كان يزورنى رجل آخر .. فقد كان يتصرف كصبى صغير . وذات مرة (كان ذلك عندما كبر) حاول أن يقتل المسكين الذى يزورنى . ويرجع ذلك لاننى لم أستطع أن أجعله يفهم أبدا ، أن ذلك هو الأسلوب الذى ينبغى أن يمارسه الناس المتحضرون ، وأعتقد ، أنه كان من الصعب عليه أن يدرك ذلك . وعلى أية حال ، فيبدو أن جون اكتسب ذلك من الهنود ، لانه يخالطهم كثيرا بطبيعة الحال . رغم انهم غير ودودين معه ، ولا يدعونه يفعل كل ما يفعله الشبان الآخرون . وقد سهل هذا الأمور

بعض الشيء بالنسبة لى ، حتى أكيفه بعض الشيء . رغم أنه ليس لديكم فكرة عن صعوبة ذلك ، فهناك الكثير جدا مما لا يعرفه الانسان . وليس من شأنى أن أعرف . أعنى عندما يسألك طفل عن كيفية تسيير الهليوكوبتر أو من الذى خلق العالم .. فماذا يمكنك أن تجيب ، اذا كنت من فصيلة البيتا ، وكنت تعمل بصفة دائمة فى غرفة التلقيح ؟ بماذا عساك أن تجيب اذن ؟ !

تم التحميل من مكتبتي

الفصل الثامن

هناك بالخارج ، حيث التراب والقمامة (وأربعة كلاب الآن) كان جون وبرنارد يتمشيان ببطء ذهابا وايابا .

كان برنارد يقول : « من الصعب جدا بالنسبة لى أن أفهم ، وأن أحيط بكل هذه الأشياء ، كما لو كنا نعيش فى كواكب مختلفة وعصور مختلفة . فالأم ، وكل تلك القذارة ، والآلهة ، ولعصر القديم والأمراض » .. وهز رأسه . واستطرد « كل هذه أشياء لا يمكن تصديقها . لن أفهم أبدا الا اذا شرحت لى » .

— « اشرح ماذا ؟ » .

— « هذه » . وأشار الى القرية . « وتلك » .

تم التحميل من مكتبتي

وأشـــار الى البيوت الصـــغيرة المتناثرة على أطراف القرية . « كل شيء . كل حياتك » .

ـ « لكن ماذا يمكن أن أقول ؟ » .

ـ « من البدايـــة . على قـــدر ما تستطيع أن تتذكر » .

ـ « على قدر ما أستطيع أن أتذكر » .. وفكر جون بعمق . وحدثت فترة صمت طويلة .

كان الجو حارا جدا . وقد تناولا كميـــة من الكعك والأذرة المسكرة . **وقالت ليندا :** « تعال لتنام . يا صغيرى » . واستلقيا على سرير عريض . « غنى » وغنت ليندا ، أغـــانى الأطفال . وغدا صوتها أوهن فأوهن ...

أستيقظ فزعا على صوت ضجة عالية . فقد كان هناك رجل ضخم ومرعب ، يقف بجوار السرير . كان يقول شيئا « لليندا » ، وكانت « ليندا » تضحك . كانت قد شدت الملاءة حتى ذقنها ، لكن الرجل جذبها

ثانية . كان شعره يشبه حبلين أسودين وحول ذراعه اسورة فضية جميلة بها فصوص زرقاء . أعجبته الاسورة ، لكنه فى نفس الوقت كان مذعورا ، فأخفى وجهه فى جسد ليندا . ووضعت « ليندا » يدها عليه فأحس بالاطمئنان . ولم يفهم مما قالته للرجل ضمن كلمات أخرى سوى « ليس جون موجودا » . لكن الرجل أمسك به من احدى ذراعيه ، وكانت تؤلمه . فصرخ . فمد الرجل ذراعه الثانية ورفعها . وأمسكت ليندا به وهى تقول : « كلا ، كلا » . وقال الرجل كلمات قصيرة غاضبة .. كان يقاوم ويرفس بقدميه ، لكن الرجل حمله واتجه ناحية الباب ، وفتحه ، ووضعه على الأرض وسط الحجرة الأخرى ، ومضى وأغلق الباب خلفه . نهض وجرى ناحية الباب . ووقف على أطراف أصابعه حتى وصل الى مقبض الباب . أدار المقبض ودفع الباب ، لكنه لم يفتح . وصاح : « ليندا » . لكنها لم ترد .

تذكر أيضا حجرة ضخمة ، معتمة تقريبا ، كانت توجد بها أشياء خشبية ضخمة مثبت عليها

خيوط كثيرة ، ومجموعة من النسوة يقفن حولها .. يصنعن ملاءات ، كما قالت « ليندا » . وطلبت منه ليندا أن يجلس فى أحد الأركان مع الأطفال الآخرين ، بينما ذهبت هى لمساعدة النسوة . لعب مع الأطفال لفترة طويلة . وفجأة بدأ الناس يتكلمون بصوت مرتفع جدا ، وامرأة تدفع « ليندا » الى الخارج ، وهى تصرخ . واتجهت ناحية الباب وجرى هو خلفها . وسألها عن سبب غضبهم . فقالت : « لاننى كسرت شيئا » . وانتابها غضب شديد وقالت : « كيف يتسنى لى أن أعرف كيفية القيام بعملية النسيج الغبية تلك . همجيون فظاع » . فسألها عن معنى الهمجية . عندما عادا الى المنزل ، كان بوب منتظرا عند الباب ، ودخل معهما . كان معه جرة مليئة بشىء أشبه بالماء ، لكنه ليس بماء ، شىء كريه الرائحة ، يلسع الفم ويجعلك تسعل ، شربت « ليندا » شيئا منه ، وكذلك بوب ، بعدها شرعت « ليندا » تضحك كثيرا ، وتتكلم بصوت عال جدا ، ثم ذهبت هى و « بوب » الى الحجرة الثانية . عندما انصرف بوب ، دخل

الحجرة . كانت « لينـدا » مستغرقة فى النوم على السرير ، ولم يستطع أن يوقظها .

كان بوب يأتى كثيرا . وقال ان الشىء الموجود فى الجرة ، يسمى « ميسكال » ، لكن « ليندا » قالت بل ينبغى أن يسمى « سوما » ، فيما عدا أنها تجعل الانسان يشعر بالسقم بعد ذلك . كان يكره بوب . كما يكره كل الآخرين .. كل الرجال الذين يأتون للقاء « ليندا » . بعد ظهيرة أحد الأيام بينما كان يلعب مع الأطفـال الآخرين ـ وكان الجو باردا على ما يذكر والثلج يغطى الجبال ـ سمع ، عند عودته الى البيت أصواتا غاضبة فى حجرة النوم . كانت أصوات نساء ، يقلن كلمـات لم يستطع فهمها ، لكنه كان يعرف انها كلمات فاحشة . وفجأة سمع صوت فرقعة ! شىء يسقط ، وهرج ومرج ، ثم صوت فرقعة أخرى ثم صوت أحد يضرب ، بعدها سمع « ليندا » تصرخ ، « أوه ، لا تضربونى ، لا تضربونى ! » . اندفع داخلا . حيث وجد ثلاث نساء متشحات بملاءات سـوداء . و « ليندا » على السرير . واحدة من النساء تمسك

رسغيها ، والثانية جاثمة على ساقيها ، والثالثة تضربها بالسوط . مرة ، اثنين ، ثلاثة ، وفى كل مرة كانت « ليندا » تصرخ . فأمسك وهو يبكى بيد المرأة البنية اللون وعضها بشدة بقدر ما يستطيع . وصرخت المرأة ، وانتزعت يدها ودفعته دفعة قوية حتى انه وقع على الأرض . وبينما كان على الأرض ضربته المرأة ثلاث مرات بالسوط . وآلمه ذلك أكثر من أى ضرب آخر حدث له .. مثل لسعة النار .

ـ « لكن لماذا يردن ايذاءك « يا ليندا ؟ » سألها تلك الليلة » .

ـ « لا أدرى . كيف يتسنى لى أن أعرف ؟ يقلن ان الرجال الذين يزورننى رجالهن » . ثم انفجرت فى البكاء .

ضمها اليه . ووضع ذراعه حول عنقها . فصرخت « ليندا » « أوه ! انتبه . كتفى . آه ! » ودفعته بشدة بعيدا عنها ، فارتطمت رأسه بالحائط ، وآلمته . فصرخت « أيها الأحمق ! » وفجأة بدأت تضربه .

فصاح فيها : « أوه ، ليندا ، كلا ، لا تضربينى يا أمى ! » .

ـ « أنا لست أمك . ولا أود أن أكون أمك » . وتحولت الى شخص شرس وأخـذت تصرخ : « أن يكون لى ابن ، مثل الحيوانات ... لو لم تكن انت موجودا ، لكان فى استطاعتى أن أذهب للمفتش ، أو أن أهرب بعيدا . لكن ليس ومعى طفل . فذلك مخز جـدا .

وشعر بأنها ستضربه ثانية ، فرفع ذراعه ليحمى وجهـه ، وهو يقول : « لا تضربينى ، يا ليـندا ، أرجوك ، لا تضربينى ! » .

أغلق عينيه متوقعا الضربات ، لكنهـا لم تضربه. وبعد برهة قصيرة فتح عينيـه فوجدها تنظر اليه . حاول أن يبتسم لها . وفجأة أحاطته بذراعيها وقبلته مرات ومرات .

أسعد الأوقات كانت تلك التى تحكى له فيهـا عن المكان الآخر .. وكيف أنه بامكان المرء أن يطـير

عندما يشاء ، ويستمع الى الموسيقى التى تنبعث من الصناديق ، وتلك الصناديق التى يمكنك سماع ورؤية ما يحدث فى أى مكان آخر فى العالم من خلالها . والأطفال فى الزجاجات النظيفة ـ وكل شىء نظيف ، ولا روائح كريهة ولا قذارة على الاطلاق ـ والناس لا تعيش وحدها أبدا . بل يعيشون معا وسعداء طوال الوقت .

فى بعض الاحيان عندما كان يشعر بالتعب هو وزملاؤه الأطفال من كثرة اللعب ، كان هناك رجل عجوز من رجال القرية يحكى لهم حكايات غريبة عن الآلهة وعن بداية العالم . حكايات غريبة لم يستطع أن يستوعبها تماما . وعندما كان يستلقى على الفراش أخيرا ، كان يفكر فى السماء وفى لندن وفى صفوف الزجاجات النظيفة والمسيح وليندا والطيران ومدير مركز التفريخ العالمى وفورد نفسه .

كان الأطفال يقولون أشياء سيئة عن « ليندا » والرجال الذين يذهبون لرؤيتها ، أحيانا كانوا

يسخرون منه بسبب ثيابه الممزقة ، فعندما كان يمزق ثيابه لم تكن « ليندا » تعرف كيف تصلحها . فى المكان الآخر ، كما أخبرته ، يلقى الناس بملابسهم الممزقة ويحصلون على ملابس جديدة . لكن ليندا علمته القراءة ، ورسم اللوحات والحروف على الجدار بطرف فرع شجرة محترق ، وعندما كان الأطفال يسخرون منه كان يقول لنفسه : « لكننى أستطيع القراءة ، وهم لا يستطيعون . انهم لا يعرفون حتى ما هى القراءة ».

وعندما أجاد القراءة ، أعطته ليندا كتابا صغير كانت قد احتفظت به مع ملابسها التى جاءت بها من المكان الآخر ، داخل صندوق . كان الكتاب عبار عن التعليمات الخاصة بعمال « مخزن بيتا للأجنة » عن المواد الكيمائية المطلوبة للتطورات المختلفة عند معالجة الاجنة داخل الزجاجات . لكن رغم انه قرا كل الكلمات الموجودة جيدا ، وحتى الطويلة منها . لكنه لم يستطع ان يعرف ماذا تعنى ؟ .. فسأل « ليندا » : لكنها حتى عندما أجابت لم تستطع أن

تجعل الأمر واضحا تماما . أى أنها لم تستطع الرد على الاطلاق ، بصفة عامة .

وعندما سألها : « ما هى الكيمياء ؟ »

ـ « أوه ، هى أنواع مختلفة من الأمـلاح تجعل العظام تنمو ، ووسيلة للمحافظة على فصيلة دلتـا والابسيلون بحجمهـا الصغير ، والعكس ، وكل تلك الأشـياء من هـذا القبيـل . وما الى كل ذلك من أنـواع » .

ـ « لكن كيف تصنعون الكيمياء ، يا ليندا ؟ ومن أين تأتى » ؟

ـ « لا أعرف . يمكنـك الحصـول عليهـا من الزجاجات ، وعنـدما تفرغ الزجاجات تبعث للمخزن الكيميائى لطلب المزيد . رجال المخزن الكيميائى هم الذين يصنعونها ، على ما أعتقد . أو ربما يرسلون لطلبها من المصنع . لا أعرف . فأنا لم أقم بأى عمليـة كيمائية ابدا . وظيفتى كانت تختص بالأجنة » .

كان الأمر على هـذا النحو بالنسبة لاى شيء يسأل عنه . ولم يكن يبدو أن ليندا تعرف أبدا أما رجل القرية العجوز فقد كانت لديه اجابات أكثر تحديدا عن كيفية بداية العالم .

ذات يوم (ويعتقد جون انه بعد عيد ميـلاده الثانى عشر بقليل) عـاد الى البيت ووجد كتابا لم يره من قبل ابدا ملقى على الأرض فى حجرة النوم ، كان كتابا ضخما ويبدو عليه القدم الشديد . حوافه متآكله بأسنان فأر ، وبعض صفحاته ممزقة . التقط الكتاب وتطلع الىٰ عنوانه . كان الكتاب يسمى (الأعمال الكاملة لوليم شكسبير) .

كانت ليندا مستلقية على السرير ترتشف ذلك المشروب الفظيع (الميسكال)من فنجان . **وقـالت :** « بوب هو الذى أحضر الكتـاب . وجده فى صندوق فى ركن معبد الآلهة . أعتقد انه موجود هنـاك منذ مئات السنين . وأتوقع ان يكون ذلك حقيقيا ، لاننى تطلعت فيه ، ويبدو انه ملىء بالهراء . كتـاب عير

حضارى . لكن على أية حال ، لا بأس به لنتدرب فيه على القراءة ، « أنهت كلامها بصوت أجش ثمل . ثم شربت الرشفة الأخيرة ، ووضعت الفنجان على الأرض بجانب السرير ، وانقلبت على جنبها ، وراحت فى سبات عميق .

بدأ يقرأ . وبدأت الكلمات الغريبة تدوى فى رأسه ، مثل دوى الرعد . مثل هدير الطبول فى رقصات الصيف ، لو أن الطبول تستطيع الكلام ، مثل أغانى الرجال أيام حصاد القمح ، كلمات جميلة ، جميلة ، من الممكن أن تجعلك تبكى ، مثل كلمات الساحر العجوز « ميتسيما » التى كان يقولها فوق الريش وعصيه القوسة ، وقطع العظام والحجارة .. لكنها أفضل كثيرا من سحر « ميتسيما » لأنها تتحدث اليه . صحيح انه لم يستطع أن يستوعب الكلمات تماما ، لكنها كانت مليئة بسحر رائع جميل .

وعندما أصبح فى الخامسة عشرة . علمه « ميتسيما » فن صناعة الأوانى الفخارية . وأول

وعاء قام بصنعه ، كان من السوء لدرجة انه مال على جنبه : « لكن الثانى سيكون أفضل » .. قال ذلك وشرع فى تشكيل قطعة ثانية من الطين . تعلم كيف يحب عمله . ووجد سعادة بالغة فى صنع الأشياء بيديه ، وفى التعلم كل مرة بأن يقوم بها بشكل افضل. كانا يعملان طوال النهار جنبا الى جنب على شاطىء النهر ، ويغنيان أثناء قيامهما بصناعة الأوانى .

قال العجوز « ميتسيما » فى الشتاء القادم ، سأعلمك صناعة القوس » .

عندما أصبح فى سن السادسة عشرة ، كان يتحتم على الفتيان الآخرين من نفس سنه أن يذهبوا الى المعبد ليلة اكتمال القمر ، حتى يلقنوا الأسرار ، وبعدها يصبحون رجالا . وأخيرا حل اليوم الذى ينبغى أن يذهب فيه الى هناك . غربت الشمس، وطلع القمر . وذهب مع الآخرين .

وعند مدخل المعبد كان يقف رجال ، عبارة عن أشكال سوداء . وكان هناك سلم هابط يؤدى ألى كهف

فى أسفل ، يشع بضوء أحمر . وهبط أول فتى بالفعل. وفجأة تقدم اليه أحد الرجال ، وأمسكه من ذراعه . وأخرجه من الصف . فتخلص منه وعاد بسرعة الى مكانه بين الآخرين . وفى هذه المرة دفعه الرجل وجذب شعره . وقال واحد من الرجال : « لا يسمح لك بذلك ، يا صاحب الشعر الأبيض ! غير مسموح لك ، يا ابن الكلبة » . وضحك الفتيان . وصاح الرجال « امش ! » وبينما كان لايزال مترددا وهو يقف عند طرف المجموعة صاح به الرجال ثانية : « امش ! » وانحنى أحدهم ، وأمسك بحجر ورماه به . « امش ! امش ! » .. ثم انهمر وابل من الحجارة . وجرى بعيدا والدماء تنزف منه . وانبعث من الكهف المضاء باللون الأحمر أصوات غناء . ونزل آخر الفتيان السلم . وأصبح هو وحيدا .

هناك فى العراء ، خارج القرية ، أصبح وحيدا تماما . وبدت له الصخور وكأنها عظام بيضاء فى ضوء القمر . كانت الكلاب تنبح هناك فى الوادى تحت ضوء القمر . كانت الخدوش تؤلمه ، ومازالت

جروحه تدمى ، وبكى ليس بسبب الألم ، لكن بسبب عزلته ، ولأنه طرد بعيدا ، وحده ، فى تلك المنطقة الجبلية وضوء القمر . جلس على حافة صخرية . كان القمر خلفه ، وتطلع الى الظل الأسود ، ظل الموت الأسود . كل ما عليه أن يخطو خطوة واحدة ، قفزة واحدة ... رفع ذراعه اليمنى تحت ضوء القمر . ومن جرح فى رسغه كانت الدماء ما تزال تقطر ببطء شديد . وكل بضعة ثوان كانت تنزل قطرة ، سوداء ، لا لون لها فى ذلك السواد الحالك . نقطة ، ونقطة ، ونقطة . وتذكر كلمات من مسرحية ماكبث « غدا وغدا وغدا » .

فى تلك اللحظة تعرف على الزمن والموت ، والله .. « وحدى ، دائما وحدى » هكذا كان الفن يقول .

وأيقظت تلك الكلمات (وحدى ، وحدى ...) اصداء حزينة فى ذهن برنارد . وقال برغبة مفاجئة لمشاركة شخص ما فى مشاعره : « .. وأنا كذلك ، وحيد للغاية » ..

فقال جون باندهاش : « أنت وحيد ؟ كنت أظنكم فى المكان الآخر .. أقصد ، أن ليندا كانت تقول لى دائما ، لا يوجد هناك أحد وحيد » .

احمر وجه برنارد بعدم ارتياح . **وقال فى صوت هامس تقريبا وهو يدير عينيه جانبا فى خجل :** « ذلك ، لأننى مختلف تماما عن معظم الناس ، على ما أعتقد . فلو حدث أى شىء عند معالجة شخص ما ، فانه يخرج من الزجاجة مختلفا » .

ـ « نعم ، بالضبط تماما ، وهز الفتى رأسه : « اذا كان الانسان مختلفا ، فبالتأكيد سيكون وحيدا . ويكونون فى منتهى القسوة معه . هل تعلم انهم سدوا كل الأبواب فى وجهى تماما ؟ فعندما أرسل الأولاد الآخرون لقضاء ليلة فى الجبال .. وأنت تعرف ، خاصة عندما تحلم بحيوانك المقدس . لم يسمحوا لى بالذهاب معهم . لم يرغبوا فى احاطتى بأى سر من الأسرار . لكنى رغم ذلك ، تعرفت عليها بنفسى » . **ثم أضاف :** « لم آكل أى شىء لمدة خمسة أيام ، وذهبت وحدى الى تلك الجبال هناك » وأشار اليها

وابتسم برنارد ابتسامة رثاء بسبب جهله وسذاجته . **وسأله** : « هل حلمت بأى شىء » ؟

هز الفتى رأسه وقال : « لكننى لا أستطيع أن أبوح لك به .

وحدثت فترة صمت لفترة ، **بعدها قال برنارد** : « أود أن أسألك ، عما اذا كنت ترغب فى العودة الى لندن ؟ » .. وقد بدأ الخطوة الأولى للخطة التى قرر أن ينفذها ، فقد عرف منذ اللحظة الأولى لدخوله البيت الصغير ، من يكون « والد » ذلك الشاب الهمجى . « هل تود ذلك » ؟

وأشرق وجه الفتى . « هل تعنى ذلك حقيقة » ؟

ـ « بالطبع . لو استطعت الحصول على تصريح لك ، من حاكم العالم ، هذا كل ما فى الأمر » .

ـ « وليندا ، أيضا » ؟

ـ « يعنى ... » وتردد بنوع من الشك . تلك المخلوقة البشعة ! كلا ! ذلك غير ممكن . الا اذا ،

الا اذا ... وفجأة اتضح لبرنارد أن قبحها الشديد هذا من الممكن أن يكون مفيدا جدا . **وقال للفتى :** « أجل ، بالطبع ! » وهو يحاول أن يغطى على تردده الأول باظهار نوع من السعادة البالغة .

سحب الفتى نفسا عميقا وقال : « وحتى تصدق أن ذلك حقيقى فهذا ما حلمت به طيلة حياتى. أتذكر ما قاله ميراندا » ؟

ـ « من هو ميراندا » ؟

لكن كان من الواضح أن الفتى لم يسمع السؤال. **فقال :** « أوه ، شىء رائع ! » وأشرقت عيناه ، وتهلل وجهه **وقال :** « يا للناس الكثيرين الطيبين الموجودين هنا ! كم هو جميل الجنس البشرى » . وفجأة غاص لون وجهه ، فقد فكر فى لينينا ، فكر فى ملاك داخل زجاجة خضراء ، تشرق بالشباب والحيوية ، جسدها ملفوف ، ابتسامتها حلوة .

ـ « أوه ، ياله من عالم رائع جديد » قال ذلك

ثم توقف فجأة وامتقع لونه **وسـأل برنارد :** « هـل أنت متزوج بها » ؟

ـ « أنا ماذا » ؟

ـ « متزوج . أى مرتبط .. الى الأبد . فهم يقولون « الى الأبد » بالهندية . أى لايمكن فسخة ».

ـ « أوه ، كلا » .. ولم يستطع برنارد مغالبة الضحك . وضحك جون أيضا ، لكن لسبب آخر . ضحك بسعادة خالصة . **وأخذ يردد :** « يا له من عالم رائع جديد . يا له من عالم رائع جديد . ويا للناس الذين يعيشون فيه . دعنا نرحل على الفور .

فقـال برنارد : « لك طريقـة متميزة جدا فى الكلام » .. وهو يحملق فى الفتى بدهشة : « وعلى أية حال ، أليس من الأفضل أن تنتظر ، حتى ترى العالم الجديد بالفعل » ؟

تم التحميل من مكتبتي

تم التحميل من مكتبتي

الفصل التاسع

أشارت عقارب الأربعة آلاف ساعة الموجود فى الأربعة آلاف حجرة بمركز « بلومزبرى » الى الثانية وسبع وعشرين دقيقة . كان المركز مليئا بالحيوية . الكل مشغول ، وكل شىء يجرى بشكل طبيعى . وكانت صفوف الزجاجات فوق السير المتحرك ، وفى داخل كل منها جنين ينمو .. تتتابع الواحدة بعد الأخرى ببطء ، لكنها تمر بالتأكيد بمراحل المعالجة المختلفة . وهناك فى غرفة أخرى كان يوجد أطفال جدد خرجوا لتوهم من الزجاجات ، يطلقون أول صرخات الفزع والدهشة .

كان صوت الماكينات المشحمة جيدا يرتفع بنعومة من الحجرات ، فى حين كانت المصاعد تندفع الى أعلى وأسفل . وفى الدور الحادى عشر المخصص

كله لرعاية الأطفال كان وقت التغذية قد حل . فقد خرج ثمانمائة طفل من ثمانمائة زجاجة .. وعلى صدر كل منهم تذكرة بها كل التفاصيل الخاصة برتبته والمعلومات الأخرى الضرورية ، مدونة بعناية ، وكلهم يرضعون خلاصة اللبن الحر .

فى الأدوار العشرة ، فوق ذلك توجد عنابر النوم المخصصة للأولاد والبنات الصغار الذين لايزالون فى حاجة لفترة نوم بعد الظهر ، كانوا مشغولين مثل أى فرد آخر ، رغم انهم لا يعرفون ، بسماع الدروس من خلال برنامج التعليم أثناء النوم . فوق هذه الأدوار العشرة توجد حجرات اللعب ، حيث تبدل الجو الى ممطر ، وكان هناك تسعمائة طفل أكبر قليلا يسلون أنفسهم بقوالب الطوب والرمل والطين .

كانت الفتيات تغنين أمام الميكروسكوبات وأنابيب الاختبار فى حين كان رؤساء الأقسام يصفرون أثناء عملهم ، ومن حجرة الأطفال جاءت أصوات نكات وضحكات ! لكن وجه المدير كان متجهما ، عندما دخل حجرة الاخصاب يصحبه هنرى فوستر .

كان يقول : « وعلى سبيل المثال ، هـذه الحجرة لأنها تحتوى على عمال من الفئة الممتازة أكثر من أى قسم آخر فى المركز . لقد قلت له أن يحضر الى هنا فى الثانية والنصف . آه ! ها هو قد حضر » .

دخـل برنارد ، وتقـدم بين صفوف المناضـد بجسـارة ، تخفى الخـوف الذى كان يشـعر به . والصوت الذى قال به « صباح الخير ، أيها المدير » كان عاليا أكثر من اللازم . وعندما حاول أن يصحح خطـأه ومضى يقول : « لقد طلبت منى الحضـور لأتحدث معك هنا » كان صوته رقيقا جدا ، بل أقرب الى الهمس .

قال المدير ببرود : « اجل ، يا سيد ماركس . لقد طلبتك فعلا للحضور هنا . وأنا أعرف انك قـد عدت من اجازتك أمس » .

فأجاب برنارد : « أجـل » .

ـ « أجل » كررها المدير . ثم فجأة رفع صوته **وقـال :** « سيداتى سادتى ، سيداتى سادتى » .

توقفت الفتيات عن الغناء ورفعن رؤوسهن من على صف أنابيب الاختبار والميكرسكوبات . وعم صمت ثقيل. وتطلع كل فرد حوله .

وصاح المدير مرة ثانية : « سيداتى ، سادتى . أنا آسف لتعطيل عملكم . ولقد أجبرنى على ذلك ، واجب قاس . ان أمن المجتمع فى خطر . نعم ، فى خطر ، أيها السيدات والسادة . فهذا الرجل » .. وأشار بأصبع اتهام الى برنارد « هذا الرجل الواقف أمامكم هنا ، هذا ، الألفا الموجب ، الذى منحناه الكثير ، وبالتالى كنا نتوقع منه الكثير ، قد خان الثقة التى ألقيت على عاتقه . من خلال وجهات نظره الآثمة بالنسبة للرياضة والسوما ، وعدم تقديره المخزى لأسلوب حياته ، ورفضه الانصياع لتعاليم فورد ، وتصرفاته خارج نطاق ساعات العمل . (مثل طفل داخل زجاجة) » . وهنا قام المدير برسم علامة حرف

(T) تى ، لقد أثبت انه عدو للمجتمع ، ويمثل خطرا ، سيداتى سادتى .. بالنسبة لكل القوانين انه

رجل أقسم أن يحطم المدنية نفسها . ولهذه الأسباب، أقترح أن نطرده من الوظيفة التى احتلها فى هـذا المركز . وأقترح أن تطلبوا نقله فورا الى أحد المراكز الاقليمية الأقل أهمية ، وهكذا يكون عقابه للصـالح العام للمجتمع ، ويتم ابعاده بأسرع ما يمكن عن أى تمركز مهم للسـكان . ففى أيسلندا سـوف تكون فرصته قليلة ليقود الآخرين نحو الجريمـة بواسطة تمرده على فورد » .

توقف المدير عن الكلام وفرد ذراعيـه والتفت بوقار ناحية برنارد **وقـال له :** « ماركس ، هل بامكانك أن تقدم لنا مبررا يمنع تنفيذ هذا القرار ؟ » .

فقـال برنارد بصـوت عـال جدا : « نعـم بامكانى » .

فقال المدير وقد أخذ بعض الشىء لكنـه مازال محتفظا بوقاره : « اذن اعرضه علينا » .

ـ « بالتـأكيد . وهو موجود بالممر . لحظـة واحـدة » .

وأسرع برنارد ناحية الباب وفتحه على مصراعيه. وقال بلهجة آمرة : « ادخل » ودخل المبرر وعرض نفسه .

وندت صيحة فزع ودهشة . وصرخت فتاة شابة . وكسر أحدهم أنبوبتى اختبار بمحتوياتهما ، عندما اعتلى كرسيا لتتاح له فرصة مشاهدة أفضل .. فلقد دخلت « لينـدا » الى الحجرة . سمينة ، أصابعها منفرجة وبدت صورتها غريبة مرعبة ، وسط تلك الأجساد الرشيقة الشابة وتلك الوجوه البشوشة ، دخلت وهى تبتسم ابتسامة جعلت ملامحها تتلوى فأظهر الفراغ الأسود لأسنانها المهشمة. وكان برنارد يسير الى جوارها .

وقال : « ها هو » وأشار الى المدير .

فأجابت لينـدا بغضب : « وهل تعتقد اننى لا أعرفه ؟ » . ثم التفتت الى المدير **وقالت :** «بالطبع أعرفك ، (ياتوماكين) . واستطيع التعرف عليك فى اى مكان ، من بين ألف . لكن من المحتمل

أن تكون قد نسيت . ألا تذكر ؟ ألا تذكر ، يا توماكين حبيبتك ليندا ؟ » .

ووقفت تحملق فيه ، ورأسها يميل على جانب ، فى حين بدأت ابتسامتها تتلاشى عندما رأت نظرة الاحتقار على وجه المدير : « ألا تذكر ، ياتوماكين ؟ » ظلت تردد ذلك بصوت مرتعش ، وكانت عيناها تتسمان بالقلق والانزعاج . واكتسى وجهها بمسحة من الحزن العميق . ومدت ذراعيها الى الأمام **وقالت :** « توماكين » . وبدأ بعضهم يضحك .

ومضى المدير يقول : « ما معنى هذه الجريمة ؟ » .

ـ « توماكين ! » .. قالت ذلك واندفعت ناحيته وهى تجرجر ملاءتها خلفها ، وألقت بذراعيها حول عنقه ، ودفنت وجهها فى صدره . ارتفعت موجة عالية من الضحك .

وصاح المدير : « هذه محاولة اجرامية من خلال نكتة عملية ؟ » .

وحاول جاهدا وقد احمر وجهه أن ينزع نفسه بعيدا عن ذراعيها . لكنها أمسكت به فى يأس **وقالت:** « أنا ليندا ، أنا ليندا » .. لكن الضحكات غطت على صوتها .. **لكنها صرخت بأعلى صوتها حتى تتغلب على هذه الضجة :** « لقد جعلتنى أنجب طفلا ».. وعلى الفور خيم صمت مربك . ووقف الجميع بعدم ارتياح لا يعرفون الى أين ينظرون . وفجأة شحب لون المدير ، وكف عن مقاومتها ، ووقف ويداه على رسغيها ويحملق فيها بفزع : « نعم ، طفل ـ وكنت أنا أمه » .. وابتعدت عنه وكلها خجل ، وعار ، وغطت وجهها بيديها وشرعت فى البكاء . « لم تكن غلطتى ، ياتوماكين . لاننى كنت أتبع التعليمات دائما ، ألم أكن أفعل ؟ ألم أكن أفعل ؟ دائما .. وأنا لا أعرف كيف .. ؟ ولو تعلم كم كان ذلك فظيعا ، ياتوماكين .. لكنه بأى حال من الأحوال، كان عنصر راحة بالنسبة لى » .. ثم اتجهت ناحية الباب **ونادت :** « جون ، جون ! » .

دخل جون على الفور ، وتوقف للحظة على

عتبة الباب ، وتطلع حواليه ، ثم سار بسرعة عبر الحجرة ، ثم ركع على ركبتيه أمام المدير ، **وقال فى صوت واضح** : « أبى ! » .

ووضعت كلمة **الأب** نهاية لهذا الصمت المفاجىء الذى استقبل به عند دخوله . وانفجر الضحك ، وتكرر انفجاره حتى يخيل اليك انه لن يتوقف . « أبى » .. ومن يكون ؟ **المدير** ! **أبى** ! أوه فورد ! .. أوه فورد ! .. حقيقة كان الوضع مضحكا جدا ! وتعالت صيحات الضحك مرة ثانية ، وانهمرت الدموع من الوجوه التى تراقب الموقف . وانكسرت أكثر من ست أنابيب اختبار . **أبى** ؟ !

وحملق فيه المدير بوجه شاحب ، وعينين شرستين ، وهو فى منتهى الخزى ، والعجز .

أبى ! .. وانفجرت الضحكات ثانية بصوت أعلى وبطريقة لم تحدث أبدا ، بعد أن كاد يتلاشى . فوضع يديه على أذنيه واندفع خارجا من الحجرة .. !

تم التحميل من مكتبتى

تم التحميل من
مكتبة

الفصل العاشر

بعد مشهد حجرة الاخصاب ، أصبحت كل الطبقات العليا فى لندن تتوق لرؤية ذلك المخلوق المرح الذى ركع على ركبتيه أمام مدير مركز التفريخ والتكيف .. أو بالأحرى المدير السابق ، ذلك أن الرجل المسكين استقال على الفور بعد ذلك الموقف ، ولم تطأ له قدم أبدا داخل المركز مرة ثانية .. ركع على ركبتيه وناداه (أصبع الأمر من قبيل النكتة الحقيقية) **أبى** .. أما بالنسبة لليندا ، فلم يكن لها أدنى اهتمام من جانبهم . ولم يكن لدى أى شخص الرغبة فى رؤيتها فأن يقال بأن **امرأة** كانت أما .. فهذا ليس من قبيل النكتة ، بل شيئا يبعث على الاشمئزاز ، بالاضافة الى أنها لم تكن همجية حقيقية . فقد استولدت داخل زجاجة وتم تكيفها مثل أى شخص آخر ، لذا لم تكن لديها أفكار **غير** عادية .

كما أن هناك مبررا آخر قويا فى عدم رغبة الناس لرؤيتها .. ألا وهو مظهرها .. فهى سمينة ، وفقدت شبابها ، وبشرتها كالحة ، وأسنانها فظيعة وشكلها (أوه فورد) .. ببساطة لا يستطيع الناس أن يتطلعوا اليها ، الا مع الشعور بالغثيان ، نعم ، الغثيان الحقيقى ، لذا فقد صمم فضلاء الناس ، على عدم رؤية ليندا . كما أن ليندا ، لم تكن ترغب من جانبها فى رؤيتهم . كانت عودتها للتحضر تعنى عودتها للسوما ، وامكانية الرقاد على السرير والحصول على اجازة بعد اجازة ، دون أن يعاودها الصداع أبدا ، أو الاحساس بالمرض .. وكذلك لن تكون فى مثل تلك الحالة التى كانت تنتابها بعد شرب الميسكال ، الذى يشعرك بأنك قمت بشىء مخجل لا تستطيع بعده أن ترفع رأسك ، لكن السوما لا تحدث مثل هذه الآثار اللعينة .

كانت الاجازة التى منحت لها كافية ، واذا كان الصحو منها غير مقبول ، فان ذلك لا يكمن فيها ، وانما فى المقارنة بالمرح والسعادة الذى يكمن فى

الاجازة . فكان العلاج أن تستمر الاجازة . وكانت تطلب بشراهه كميات كبيرة من السوما ، ولم يكن دكتور شو راغبا فى ذلك فى البداية ، لكنه تركها بعد ذلك تتناول ما تريد .. كانت تتناول ما يعادل عشرين جراما فى اليوم . أكثر بكثير من المعدل المعتاد .

وقال الدكتور لبرنارد فى ثقة : « سوف تقضى الحبوب عليها خلال شهر أو شهرين .. سوف يتوقف جهازها التنفسى عن العمل ذات يوم . لن يبقى فيها نفس .. تنتهى . وهناك شىء آخر . وهو أننا لا نستطيع أن نعيدها شابة ثانية . لاشىء يمكن فعله ! » .

ولدهشة الجميع ؛ فقد رفض جون هذا الأسلوب فى العلاج . (لأن اجازات تعاطى السوما ليست هى السبيل الصحيح) .

ـ « لكن ألا تعجلون بنهاية حياتها باعطائكم الكثير لها ؟ » .

واعترف دكتور شـو قائلا : « بمعنى من المعانى، أجل ، وبمعنى آخر نحن نطيل عمرها ! » .

وحملق فيه الشاب ، متحيرا .

وواصل الدكتور كلامه : « صحيح أن السوما تجعلك تفقد بضعة أعـوام من الزمن ، لكن فكر فى الفترات الرائعة التى يمكن أن تهبها لك ، خـارج اطار الزمن . وكل اجازة سـوما هى جزء مما كان الناس يسمونه فى القرون السابقة ، الخلود » .

وبدأ جون يفهم ، **وغمغم قـائلا :** « الخـلود كان فى أعيننا وعلى شفاهنا » .

ـ ماذا تقول ؟

ـ « لا شىء » .

واصل دكتور شـو كلامه قائلا : « وبالطبع ، لا يمكن أن تسمح للناس بمواصلة زياراتهم للخلود ، اذا كان لديهم أعمـال جادة يقومون بها ، أما بالنسبة لها فليس لديها أى عمل مهم .. » .

فجادله جون : « على أية حال ، أنا لا أعتقد ان ذلك صحيح » .

فأشاح الدكتور بيده بنفاد صبر **وقال** : « هذا صحيح ، بالطبع ، اذا كنت تفضل أن تجعلها تصرخ فى جنون طوال الوقت » .

فى النهاية كان جون مجبرا على الاستسلام . ومنذ ذلك الوقت ظلت ليندا فى غرفتها الصغيرة بالدور السابع والثلاثين بشقة برنارد ، تتناول كميات السوما المقررة فى صحبة الراديو والتليفزيون وأقراص السوما فى متناول يدها .

كان جون ، هو الذى يريد الجميع رؤيته . ولما كان ذلك لا يتم الا من خلال برنارد ، فقد أصبح برنارد مشهورا لأول مرة فى حياته .

كان الجميع يحاولون الحصول على دعوات لحضور حفلاته المسائيةلمقابلة الهمجى ، وقد قال لصديقة هيلمولتز واتسون ، انه بامكانه أن يحضر أى عدد من الفتيات لمجرد أن يتجمهرن حول شقته .

قال برنارد وهو يشير الى أعلى : « اخف من الهـواء » .

وكان بالون قسم الارصاد الجوية ، مثل اللؤلؤة فى السـماء عاليـا ، عاليـا فوقهم ، يشـع بألوان قرمزية تحت أشعة الشمس .

ـ « ينبغى على الهمجى أن يرى الحياة المتحضرة بكل عنـاصرها » .. هـكذا كانت تقضى تعليمـات برنـارد .

جعلوه يشاهد المنظر العام للمدينة من أسفل ، ثم جعلوه يشاهده من أعلى برج تشارنج تى . وكان مدير محطـة الاختبارات الجوية ومسـاعده يقومان بدور المرشد . فى حين كان برنارد يقوم بالشرح كله . كان يتصرف وكله زهو ، كما لو أنه على أقل تقدير ، حاكم العالم يقوم بزيارة .. كان أخف من الهواء .

هبط صـاروخ بومباى الأخضر من السـماء . ونزل المسافرون من الصاروخ . ومن خـلال ثمانى

نوافذ فى حجرة القيـادة تطلع ثمانيـة أفراد يرتدون الكاكى وكلهم متشابهون .. هم طاقم المضيفين .

قـال مدير المحطـة بزهو : « يقطع اثنى عشر ألفا وخمسين كيلو مترا فى الساعة . ما رأيك فى ذلك أيها السيد الهمجى ؟ » .

فكر جون مليا وقـال : « مازال فى اسـتطاعة العفريت آريل أن يلف حول العالم فى أربعين ثانية » .

وقـد كتب برنـارد فى تقريره الى « مصطفى مونـد ») بأن الهمجى يبـدى قليـلا من الانبهـار والاعجاب ، بالمخترعات الحضارية . وهـذا يعود ، بلاشك ، الى أنه سمع عن هذه المخترعات من خلال « ليندا » والدته) .

(قطب مصطفى موند جبينه وقال : هل يعتقد ذلك الأحمق اننى سأصـدم بتلك الكلمـات المكتوبة بالخط العريض ؟) .

« خاصة اهتمامه الذى يتركز حول ما يسميه

(الروح) التى يعتبرها شيئا منفصلا كلية عن الجسد ، بالرغم من اننى حاولت أن أشير عليه » .

والقى الحاكم نظرة سريعة على الجمل التالية ، وكان على وشك أن يقلب الصفحة بحثا عن شيء اكثر تحديدا ، واكثر تشويقا ، عندما وقعت عيناه على بعض الجمل الغريبة تماما . فقرأ : « رغم اننى أعترف باتفاقى مع الهمجى فى وجهة نظره بأن الطفولة المتحضرة شيء سهل جدا ، أو كما يراها هو ، وليست مكلفة للغاية ، الا اننى أود أن انتهز هذه الفرصة لألفت نظر الهكم فورد الى ... » .

وانقلب غضب مصطفى موند الى نوع من المرح. ففكرة ان هذا المخلوق يعلمه ـ يعلمه ـ المواضعات الاجتماعية كانت فى منتهى الغرابة حقيقة . لابد أن الرجل قد جن . **وقال لنفسه** : « لابد أن القنه درسا » . وأخذ يضحك بصوت عال . لابد أن يلقن الدرس فى النهاية .

كتب برنارد : « ان الهمجى ، يرفض تناول

« السـوما » ، ويبدو مهموما بسبب تلك المرأة ، ليندا ، والدته .. لأنها ما زالت فى اجازتها الدائمة . ومن الجـدير ملاحظـة ذلك ، بالرغم من الحـالة الذهنية الضعيفة لوالدته .. وقبح منظرها الشديد . والهمجى يذهب لزيارتها بصفة دائمة ويبدى ارتباطا شديدا بها .. وهـذا مثال ظريف للطريقة التى يمكن بها تعديل التكيف المبكر وينفذ بطريقـة معاكسـة للغرائز الطبيعية (فى هـذه الحالة تنسحب الغرائز الطبيعية من التصرفات غير السارة) .

دخلت لنينا غرفـة اسـتبدال الملابس وهى تغنى .

فقالت فانى : « تبدين سعيدة جدا بنفسك » .

فاجابت : « أنا سعيدة ، لأن برنارد اتصـل تليفونيا من نصف سـاعة ، أخبرنى أن لديه مهمـة مفاجئة ، وطلب منى أن أصحب الهمجى الى السينما هـذا المساء . ولابد أن أسرع » .. وجرت ناحيـة الحمـام .

ـ « انها فتاة محظوظة » .. قالت فانى ذلك لنفسها وهى تراقب لينينا وهى تذهب .

اخذت لينينا والهمجى ينصتان الى الموسيقى المنبعثة من الأورج الكهربائى ، وهما غارقان فى كرسين وثيرين داخل السينما .. وسرعان ما تلاشت الأضواء وبدأ الفيلم ، بالألوان الطبيعية ، وشخوصه أكبر بكثير من الحجم الطبيعى .

كانت قصة الفيلم فى منتهى البساطة . بعنوان « ثلاثة أسابيع داخل هليوكوبتر » . سقط شاب زنجى من طائرة هليوكوبتر على رأسه ، فأصيب بالجنون ، وفقد السيطرة على مشاعره . ووقع فى حب فتاة شقراء جميلة من فصيلة بيتا موجب .. ورفضت الاستجابة له أو فعل أى شىء فأمسك بها ، ودفع بها داخل طائرته الهليوكوبتر رغم مقاومتها وطار الى السماء وظل محتفظا بها ثلاثة أسابيع . وهو يحاول أن يجعلها ترضخ لعواطفه . أخيرا ، وبعد عدة مغامرات تضم بعض المشاهد المثيرة فى

الهواء ، استطاع ثلاثة شبان من فصيلة ألفا ، انقاذها . وأرسل الزنجى لمركز اعادة التكيف . وانتهى الفيلم بشكل مناسب ومقبول .. وتلاشت المشاهد وأضيئت الأنوار وانبعثت الموسيقى تملأ قاعة السينما مرة ثانية . وهكذا انتهى العرض .

لم تكن نهاية الفيلم هى النهاية بالنسبة للينينا . فبينما كانا يتحركان ببطء مع الجمهور تجاه المصاعد ، كانت ما تزال تشعر بالعواطف التى أيقظها فيها الفيلم . احمرت وجنتاها ، ولمعت عيناها وأخذت تتنفس بعمق . فتعلقت بذراع الهمجى وضغطت به على جنبها . فتطلع اليها للحظة ، وهو شاحب ، متألم ، وكله رغبة لكنه خجل من رغبته . فلم يكن متهيأ بما فيه الكفاية ، وليس .. والتقت أعينهما للحظة . وكم فيهما من اغراء ! وتتبدى فيهما العاطفة . وبسرعة نظر بعيدا ، وحرر ذراعه من قبضتها . فقد كان يخشى أن يكون قد أساء الفهم تماما . وانتابه احساس ما ، أنها ربما تكف عن صداقته ، وهو لا يريد لذلك أن يحدث .

فقال : « أنا لا أعتقد أنه ينبغى عليك أن ترى الأمور على هذا النحو » .

ـ « على أى نحو يا جون ؟ » .

ـ « على نحو ذلك الفيلم الفظيع » .

ـ « فظيع ؟ » اندهشت لينينا جدا ، **وقالت** : « لكننى أرى أنه فيلم رائع » .

ـ « بل فيلم مخجل » . **قال ذلك بغضب وأردف** : « بل مقزز » .

هزت رأسها وقالت : « لا أعرف ماذا تقصد ؟ » .

لم هو غريب الأطوار هكذا دائما ؟ ولماذا يفسد كل الأشياء دائما ؟ .

داخل التاكسى الهليوكوبتر كان ينظر اليها بصعوبة . فقد كان مقيدا بعهود قوية لم يصرح بها أبدا ، ومطيعا للقوانين التى توقف مفعولها منذ فترة

طويلة ، وجلس فى صمت ، ورأسه ملتفتة بعيدا عنها .

وهبط التاكسى الهليوكوبتر فوق سطح عمارة لينينا السكنية . « أخيرا » .. فكرت بمرح وهى تخرج من التاكسى . أخيرا .. رغم انه كان غريب الأطوار جدا حتى الآن . تطلعت فى مرآة يدها ، وهى واقفة تحت أحد المصابيح . أخيرا . أنفها فى حاجة الى قليل من البودرة . فاخرجت البدارة من علبة البودرة . بينما كان هو يحاسب سائق التاكسى .. كانت هناك فرصة أمامها . وبدرت الجزء اللامع من أنفها **وفكرت** : « ان منظره جميل جدا . **لا حاجة** به لأن يخجل مثل برنارد رغم .. أن أى رجل كان يمكنه فعلها منذ فترة . والآن ، جاءت الفرصة أخيرا » . وفجأة ابتسم لها الجزء الذى تراه من وجهها فى المرآة .

ـ « ليلة طيبة » نطق بها صوت من خلفها ملىء بالضيق . والتفتت لينينا بحدة . فوجدته

واقفا داخل باب التاكسى الهليوكوبتر ، وعيناه ثابتتان ، محملقتان . من الواضح انه كان يتطلع اليها طيلة الوقت الذى كانت تنشر فيه البودرة على أنفها ـ منتظرا ـ لكن لماذا ؟ أو مترددا ، يحاول أن يستقر على رأى ، وهو يفكر ويفكر ـ طوال الوقت ـ فى انها ربما لا تتخيل ما يعتريه من أفكار غريبة . **وقال لها ثانية :** « ليلة طيبة ، يا لينينا » وبذل مجهودا يائسا غريبا لكى يبتسم .

ـ « لكن ، جون .. كنت أعتقد انك سوف .. أقصد ، ألن .. ؟ » .

أقفل الباب وانحنى على السائق يقول له شيئا . وارتفعت الطائرة بسرعة فى الهواء .

عندما تطلع الهمجى من النافذة الى أسفل ، استطاع أن يرى وجه لينينا متطلعا الى أسفل ، شاحبا تحت ضوء المصابيح . كان فمها مفتوحا ، تنادى . وتلاشى شكلها بعيدا عنه . وغدا مربع سطح

العمارة أصفر وأصفر وهو يتراجع الى اسفل فى الظلام .

بعد خمس دقائق كان فى حجرته . وأخرج من مكان أمين ، كتابه القديم البالى ، وشرع يقلب صفحاته المتهرئة بحرص ، وبدأ يقرأ مسرحية **عطيل** .. تذكر أن عطيل ، مثل بطل فيلم « ثلاثة أسابيع فى هليوكوبتر » .. لأنه أسود .

سارت لينينا عبر السطح الى المصعد ، بعد أن جففت عينيها . وفى طريقها الى الدور السابع والعشرين فى أسفل ، أخرجت زجاجة أقراص السوما . وقررت أن جراما واحدا لن يكون كافيا . فتجربتها التعسة ، كانت تتطلب أكثر من جرام واحد . لكنها اذا تناولت جرامين ستكون مخاطرة ، يمكن بسببها الا تستيقظ فى الوقت المحدد صباح الغد . وقررت أن تتجنب الحدين الأقصى والأدنى ، وتناولت من راحة يدها اليسرى ثلاث حبات سوما من وزن النصف جرام !

تم التحميل من مكتبتي

الفصل الحادى عشر

تحتم على برنارد أن يصيح بصوت عال من خلال الباب المغلق . لأن الهمجى لا يريد أن يفتح الباب .

ـ « لكن الجميع هناك ، ينتظرونك » .

ـ « دعهم ينتظرون » .. جاء الرد بصوت واهن خلال الباب .

ـ « لكنك تعرف تماما . يا جون ، أننى دعوتهم بغرض رؤيتك » .

ـ « كان يجب عليك أن تسألنى أولا ، اذا كنت أريد مقابلتهم أم لا ! » .

ـ « لكنك دائما كنت تحضر قبل ذلك » .

تم التحميل من مكتبتى

ـ « أجل ، وذلك بالضبط ، ما يجعلنى لا أريد الذهاب ثانيـة » .

وحـاول برنارد اقناعه .. لكن لم يكن الأمر سهلا من خلال باب مغلق .. « لمجرد أن تسعدنى . ألا تريد الحضور لاسعادى ؟ » .

ـ « كـلا » .

ـ « هل تعنى ذلك حقا ؟ » .

ـ « نعـم » .

ـ « لكن ، ماذا يتحتم على أن أفعل الآن ؟ » صرخ برنارد فى يأس :

ـ « فلتذهب الى الجحيم ! » .. صـاح جون بصوت غاضب من الداخل .

باءت كل محاولات برنارد بالفشـل ، لحمل جون على الخروج . فى النهاية تحتم عليه أن يعود الى بيتـه ويخبر كل ضيوفـه المنتظرين هنـاك فى

شوق ، بأن الهمجى لن يظهر هذا المساء . فغضبوا غضبا شديدا . وشعروا بانهم قد خدعوا بتصرفات ذلك البرنارد القليل الأهمية وسمعته المشكوك فيها وآرائه الاجتماعية المضادة .

انزوت ليننا منعزلة فى ركن ولم تتكلم . جلست ، شاحبة الوجه ، وعيناها الزرقاوان مليئتان بحزن غير عادى ، وانفصلت عن كل الذين حولها ، باحساس غريب لم يشاركها فيه أحد . لقد حضرت الى هذه الحفلة وقد تملكها احساس غريب ، مزيج من القلق والمرح . فقد قالت لنفسها عندما دخلت الحجرة : « خلال دقائق قليلة ، سوف أراه وأتحدث اليه ، وأفضى اليه » . (لأنها حضرت وقد قررت) . « أنا أحبه .. أكثر من أى انسان آخر عرفته . ومن المحتمل أن يقول لى ... » .

ـ « ماذا كان يمكن أن يقول ؟ » واندفعت الدماء الى وجنتيها .

« لماذا كان تصرفه غريبا فى تلك الليلة ، بعد

السينما ؟ .. غريبا جدا . ورغم ذلك فأنا على ثقة تامة من أنه يحبنى جدا . أنا متأكدة » .

فى تلك اللحظة كان برنارد قد أعلن أن الهمجى لن يحضر الحفلة .

واعترى لينينا احساس فظيع بخيبة الأمل والخواء . وبدا كما لو أن قلبها سيتوقف عن الدق .

ـ « ربما لأنه لا يحبنى » . قالت ذلك لنفسها . وعلى الفور نما هذا الاحتمال داخل ذهنها وتحول الى يقين . لقد رفض جون الحضور لأنه لا يحبها . لا يحبها ...

كان الجميع من حولها يناقشون رفض الهمجى للحضور بغضب ، ويلومون برنارد على كل هذا الخطأ الذى حدث . وسرعان ما انصرف الضيوف الواحد تلو الآخر .

كانت لينينا آخر المنصرفين ، وسارت حزينة خارج الغرفة . وبقى برنارد وحده . واستولت عليه

حالة من الاحباط وخيبة الأمل ، فارتمى على كرسى ، وغطى وجهه بيديه وشرع فى البكاء .

أما الهمجى ، فقد جلس فى غرفته بأعلى يقرأ مسرحية « روميو وجولييت » .

فى صباح اليوم التالى ، لم يستطع برنارد أن يخفى عن الهمجى مدى ما شعر به من حزن . وأبدى الهمجى نوعا من التعاطف معه ، لم يكن يتوقعه برنارد . وقال له وهو يبدى له كل أسفه : « أنت مازلت كما كنت فى مالبيز . أتذكر عندما تكلمنا لأول مرة ؟ خارج البيوت الصغيرة . أنت مازلت كما كنت هناك ! » .

ـ « لاننى غير سعيد ، هذا هو السبب » .

ـ « حسن ، لكم أود أن أكون غير سعيد ، على أن أنال تلك السعادة الزائفة الكاذبة التى تنالونها هنا » .

فقال برنارد بمرارة : « أنا مندهش من أمرك . لأنك تقول ذلك ، خاصة وقد كنت السبب فى كل ما حدث . عندما رفضت الحضور الى الحفلة وجعلت الجميع ينقلبون ضدى ! » .. كان يعرف ان ما يقوله ليس عدلا . واعترف لنفسه بصحة كل ما قاله الهمجى الآن عن عدم جدوى الأصدقاء الذين ينقلبون الى أعداء قساة لأتفه الأسباب . وظل برنارد يشعر تجاه الهمجى ، بغضب خفى ، رغم ما يكنه له من تعاطف حقيقى .

كان صديق برنارد الآخر هلمولتز واتسون ، يعانى مثله من العزلة ، والأفكار غير المتوافقة . ولقد سبق تحذير هلمولتز رسميا بسبب بعض الأشعار التى نظمها وقرأها لطلبة كلية الهندسة العاطفية ، باعتبارها شيئا خطيرا ولا ينبغى تكراره . كان الشعر يمتدح الصمت ، صمت الانسان عندما يكون وحيدا ويستطيع أن يستمتع بأفكاره ومشاعره . وقدم الطلبة تقريرا عنه للمسئولين . **وقال برنارد :** « أنا لست مندهشا ، فهذا ضد كل أساليبهم

التعليمية تماما . خاصة أسلوب التعليم أثناء النوم » .. وتذكر أن لديهم ربع مليون تحذير على الأقل ضد التفرد .

ـ « أعرف . لكننى أود أن أرى ماذا يكون رد الفعل » .

ـ « حسن ، لقد رأيته الآن » .

ضحك هلمولتز **وقال بعد فترة :** « أشعر ، كما لو اننى قد بدأت كتابة شيء عن هذا الأمر ، الآن . كما لو اننى قد بدأت استخدام تلك القوة السحرية التى تكمن داخلى . هناك شيء يجتاحنى » .

وبالرغم من كل متاعبه ، فقد أحس بأن برنارد يشعر بسعادة عميقة .

أعجب كل من هلمولتز والهمجى ببعضهما على الفور . فقد كان هلمولتز يقرأ عليه أشعاره التى تلقى بسببها تحذيرا من المسئولين . وكان الهمجى يرد عليه ببعض سطور من كتابه القديم الذى أثار

اعجاب هلمولتز بطريقة لم يسبق لها مثيل من قبل ، لكن هلمولتز لم يستطع ببساطة فهم حكاية روميو وجولييت عندما قراها عليه جون بعاطفة جياشة . (حيث كان يرى نفسه طول الوقت « روميو » ولينينا « جولييت ») .

وانفجر هلمولتز ضاحكا لقرار الأب والأم (وهذه كلمات مقززة فى حد ذاتها) لاجبار الابنة على الارتباط بشخص لا تريده ! وتلك الفتاة البلهاء التى لا تستطيع أن تصرح بأن لديها شخصا آخر (بغض النظر عن أى شىء) تفضله . كان الموقف فى منتهى السوء . وفى نفس الوقت فى منتهى الطرافة ، لدرجة أن هلمولتز ظل يضحك حتى انهمرت الدموع على خديه . فنظر اليه الهمجى فى غضب ، وأغلق كتابه ، ونهض من على كرسيه ، ووضعه فى الدرج وأغلقه عليه .

ـ « رغم ذلك » .. قال هلمولتز ذلك عندما استطاع أن يلتقط أنفاسه ليعتذر ، وحاول أن يقنع الهمجى ليصغى الى تفسيره . « فأنا أعلم تماما بأن هذا الموقف المستحيل ، يحتاج الى مجنون لكى يكتبه . وحقيقة لا يستطيع الانسان أن يكتب بشكل جيد عن أى شىء آخر لكن لماذا حقق ذلك المؤلف القديم تلك الشهرة الكبيرة ككاتب ؟ لأنه كان يمتلك مشاعر حقيقية قوية ، وأفكارا كثيرة غريبة ، حتى ينفعل بها . أعلم أنك تضايقت وتألمت . والا فلن تكون لديك القدرة للتفكير فى الجمل الحقيقية الجيدة ، تلك التى تثير انتباه الذهن والقلب وتعيش فى الذاكرة . لكن مسأله الآباء والأمهات ! فأعتقد أنك لا تتوقع منى أن أكون جادا بخصوصها .. ومن ذلك الذى سيهتم ، اذا كان الشاب قد حصل على الفتاة أم لم يحصل عليها ؟

(فأجفل الهمجى ، لكن هلمولتز الذى كان ينظر

الى الباب متأملا لم ير شيئا) ثم قرر وهو يتنهد :
« كـلا ، ذلك لا يناسبنا . نحن نريد نوعا آخر من الجنون ، نوعـا آخر مختلفـا من العواطف ، حتى تسيطر على عقولنا ، ونكون متحكمين فى خيالنا . لكن كيف ؟ وأين يمكن أن اجده ؟ » .

قال ذلك وسكت . ثم هز راسه وقال اخيرا :
« لا أدرى ، لا أدرى » ...

تم التحميل من مكتبتي

تم التحميل
مكتبتي

الفصل الثانى عشر

ظهر هنرى فوستر الى جوار لينينا تحت الاضاءة الحمراء فى مخزن الأجنة . « أتودين الذهاب معى الى السينما هذا المساء ؟ » .

هزت لينينا رأسها دون أن تتكلم :

ـ « هل ستخرجين مع أى أحد آخر ؟ » .. كان يهمه أن يعرف أيا من أصدقائه تفضله على الآخرين . **فسألها : « أهو برنارد ؟ »** .

ـ فهزت رأسها مرة ثانية .

لاحظ هنرى أنها مجهدة للغاية ، برغم ضعف الاضاءة .

ـ « أرجو الا تكونى مريضة ؟ » .. سألها

بقلق زائد ، وكان يخشى أنها ربما تعانى من أحد الأمراض القليلة المتبقية .

فهزت لينينا رأسها أيضا .

ـ « على أى الأحوال يجب أن تذهبى للطبيب » .. ثم أضاف بابتهاج مستخدما مثلا لا يفشل فى رفع معنويات الناس : « طبيب اليوم . يبعد عنا المرض واللوم » .

ـ « أوه بحق فورد ! ألا تسكت ! » .. قالت لينينا ذلك أخيرا وحطمت حاجز صمتها . ثم اتجهت ناحية منضدة عملها .

ـ « يقول ان أذهب الى طبيب ! » كان من المفروض أن تضحك لولا أنها كانت على حافة البكاء.. لا يستطيع طبيب أن يشفيها مما هى فيه . وتنهدت بعمق **وتمتمت لنفسها** : « انه جون ، جون .. ! » .

بعد مضى ساعة ، وفى حجرة تغيير الملابس ، **كانت فانى تعترض بصوت عال** : « لكنه من الحماقة

أن تدعى نفسك لتصبحى فى مثل هذه الحالة » .. **ثم كررت** : « منتهى الحماقة ، ومن أجل من ؟ رجل ـ رجل واحد ؟ ! » .

ـ « لكنه الرجل الذى أريده » .

ـ « وكأنه لا يوجد ملايين الرجال الآخرين فى العالم ! » .

ـ « لكنى لا أريدهم » .

ـ « وكيف يتسنى لك أن تعرفى ، اذا كنت لم تحاولى ؟ » .

ـ « لقد حاولت »

ـ « مع كم ؟ » .. **سألتها فانى** : « رجل ؟ اثنان ؟ » .

ـ « مع العديد » **قالت وهى تهز رأسها** : لكن بلا فائدة » .

فقالت فانى : « اذن ، استمرى فى المحاولة ولا تفكرى فيه » .

ـ « لا أستطيع » .

ـ « اذن ، تناولى حبوب السوما » .

ـ « أتناولها » .

ـ « حسن ، استمرى فى ذلك » .

ـ « لكن خلال فترات الراحة من تناول الحبوب أجدنى مازلت أحبه . سأظل دائما أحبه » .

فقالت فانى فى حسم : « حسن ، اذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لا تذهبين اليه وتنالينه . سواء كان يرغب أم لا » .

ـ « لكنه غريب الأطوار جدا » .

ـ « وهذا مبرر كاف لتكونى حاسمة مع نفسك » .

ـ « من السهل قول ذلك » .

فقالت فانى : « لا تتركيه .. وخذى المبادرة ! .. اجل تصرفى فورا .. قومى بذلك الآن » .

قالت لينينا : « لا أجرؤ » !

ـ « حسن ، ينبغى عليك أن تتناولى نصف جرام من السوما أولا . سأذهب لآخذ حمامى » .. ومضت ومنشفتها على كتفها .

* * *

دق الجرس . وقفز الهمجى مندفعا ناحية الباب ، فقد كان فى انتظار حضور هلمولتز بفارغ الصبر ليحكى له عن مشاعره تجاه لينينا .

وصاح وهو يفتح الباب : « كنت أظن أنك هلمولتز » .

فى مدخل الباب كانت تقف لينينا ترتدى زيا بحريا أبيض من القطن ، وعلى رأسها قبعة بيضاء تميل بزاوية رائعة .

وشهق الهمجى « أوه » كما لو أن أحدا ضربه بشدة .

كان نصف الجرام كافيا لأن يجعل لينينا تنسى

خوفها . وقالت وهى تبتسم : « هاللو – جون » وعبرته الى داخل الغرفة . أغلق الباب وتبعها . جلست لينينا ، وحدث صمت طويل .

وفى النهاية قالت : « أنت لا تبدو سعيدا جدا لرؤيتى يا جون » ؟

فصاح الهمجى باحساس جياش : « لا أبدو سعيدا ؟ » .. ثم ركع فجأة على ركبتيه أمامها ، وأمسك يدها وقبلها **وقال :** « أنا أحبك أكثر من أى شىء فى الوجود ! » .

– « اذن لماذا لم تقل لى ذلك من قبل ؟ » .. وفجأة أحاطته بذراعيها . وأخذت **تقول له :** « أيها الأحمق ! لكم اشتقت اليك كثيرا ! . يا حبيبى ، يا حبيبى .. وطالما كنت أنت تشتاق الى ، فلماذا لم ... ؟ » .

فى هذه اللحظة تذكر الأحداث فى فيلم « ثلاثة أسابيع فى هليوكوبتر » . وأصيب بفزع ، بفزع شديد .. وحاول أن يحرر نفسه من ذراعيها .

فأبعدت لينينا ذراعيها عنه. ووقفت . وتصور للحظة أنها أدركت ما يشعر به . لكنه سرعان ما اكتشف انه كان مخطئا .

قالت لينينا وهى تلقى بذراعيها على كتفيه :

ـ « لكم أحبك يا عزيزى ! » .

أمسك الهمجى برسغيها ، وأبعد يديها من فوق كتفيه ، ودفعها بخشونة بعيدا عنه .

ـ « آه ، أنت تؤلمنى ، أنت .. آه » . ثم سكتت فجأة . فقد نسيت الألم من فرط فزعها . وعندما فتحت عينيها ، ورات وجهه ـ كلا .. ، ليس هذا وجهه ، بل كان وجها شاحبا مجنونا ، مجعدا ، مليئا بجنون متهور .

حاولت أن تفهم السبب الذى جعل وجهه يكتسى بهذا الجنون ، لكنها فشلت تماما . **وهمست قائلة :** « ماذا حدث يا جون ؟ » . لم يجب ، لكنه حملق فقط فى وجهها بهاتين **العينين** المجنونتين .

وكانت يداه اللتان أبعدتا رسغيها ترتعشان ، ويتنفس بعمق واضطراب . وفجأة سمعت اصطكاك أسنانه . وبصوت أقرب الى الصراخ **سألته** : « ماذا حدث ؟ » .

وكما لو أنه قد استيقظ على صرختها ، فأمسك بها من كتفيها **وأخذ يهزها وهو يصرخ** :

ـ « الضعف ، اسمه المرأة ! » ودفعها بقوة شديدة حتى انها سقطت على الأرض . وصاح وهو يقف بقربها « اذهبى ، اغربى عن بصرى والا قتلتك » .

رفعت لينينا ذراعها فوق وجهها **وقالت** : « كلا ، أرجوك ، كلا ، يا جون » ..

ـ « هيا أسرعى » !

وبعين مرتعبة ، وقد ظل ذراعها مرفوعا ، أخذت تراقب حركته ، ونهضت بصعوبة على قدميها ، واندفعت بسرعة ناحية الحمام وهى مازالت تحمى وجهها .

أخذ الهمجى يذرع الغرفة جيئة وذهابا فى غضب . وهو يردد : « الضعف . الضعف امرأة » .

وراحت ليننا تصغى الى وقع خطواته ، وتتساءل وهى تصغى ، الى متى سيظل يروح جيئة وذهابا على هذا النحو ، وهل يتحتم عليها أن تنتظر حتى يغادر الشقة ، أم من الأسلم أن تترك لجنونه الوقت المعقول حتى يهدأ ، وبعدها تفتح الحمام وتحاول الهرب ، فى تلك اللحظة دق جرس التليفون فى الحجرة .. وسمعت صوت الهمجى يتكلم :

ـ « هاللو » .

ـ .....

ـ « أجل » .

ـ .....

ـ « نعم الهمجى هو الذى يتكلم » .

ـ .....

ـ « ماذا ؟ من مريض ؟ بالطبع يهمنى » .

ـ .....

ـ « لكن ، هـل الحالة خطيرة ؟ هـل حالتها سيئة ؟ سأحضر حالا » .

ـ .....

ـ « ليست فى حجرتها ؟ الى أين أخذوها » ؟

ـ .....

ـ « أوه ، يا الهى ! ما العنوان » ؟

ـ .....

ـ « ثلاثة بارك لين » ـ أهو كذلك ؟ ثلاثة ؟ شـكرا » .

سمعت ليننا صـوت سـماعة التليفون وهى توضع ، ثم خطوات مسرعة . وبابا يغلق بشـدة . ثم عم سكون . هل انصرف حقيقة ؟

فتحت الباب بحذر شديد لمسافة ربع بوصة ، ونظرت من خلال الفتحة ، وتشجعت أكثر ، بسبب الهدوء ، واطلت برأسها ، وأخيرا تسللت داخل الحجرة بهدوء ، ووقفت للحظات وقلبها يدق ، تتصنت ، وتتصنت ، ثم اندفعت الى الباب الأمامى ، فتحته ، وانسلت من خلاله ، واغلقته بعنف ، وأخذت تجرى . ولم تشعر بالأمان الا عندما أصبحت داخل المصعد وهو ينزل بها .

الفصل الثالث عشر

كانت مستشفى بارك لين للموتى عبارة عن برج من الطوب الأصفر اللون يتكون من ستين دورا ، عندما خرج الهمجى من التاكسى الهليوكوبتر ، كان هناك سرب من طائرات دفن الموتى ذات اللون الجنازى تنطلق من على السطح واتجهت ناحية بارك ، تجاه الغرب ، فى طريقها الى محرقة الجثث .. وعند بوابات المصعد أعطاه الموظف الرسمى المعلومات التى طلبها ، وهبط الى الدور السابع عشر ، كان الجناح الذى ترقد فيه ليندا عبارة عن عنبر كبير مشرق بضوء الشمس جدرانه مدهونة باللون الأصفر . ويحتوى على عشرين سريرا ، كلها مشغولة . كانت ليندا تموت فى صحبة .. صحبة كل وسائل الراحة الحديثة . كان الهواء يتجدد بشكل مستمر ، مع الحان مرحة تصدر من السماعات . وعند مؤخرة

كل سرير ، فى مواجهة المحتضر الذى يشغله ، جهاز تليفزيون ، كان يترك مفتوحا مثل صنابير المياه منذ الصباح وحتى آخر الليل .

قالت الممرضة التى قابلت الهمجى عند الباب : « نحن نحاول ان نخلق جوا مريحا تماما هنا .. شىء مشترك بين فنادق الدرجة الأولى ، وقصور السينما اذا كنت فهمت ما أعنى ! » .

ـ « أين هى ؟ » .. سأل الهمجى ، دون أن يعير ذلك الشرح المهذب التفاتا .

تضايقت الممرضة وقالت : « أنت فى عجلة » .

فسألها : « هل هناك اى امل ؟ » .

ـ «تقصد ، فى الا تموت ؟ » (هز رأسه) .. كلا ، بالطبع لا يوجد أمل . عندما يرسل شخص الى هنا ، فليس هناك » .. ولانزعاجها الشديد من مسحة الحزن التى كست وجهه **سألته :** « لم كل

هذا ، مهما حدث ؟ . ذلك أنها لم تتعود على مثل تلك الأمور من الزوار (لأنه لم يكن يوجد زوار كثيرون بأى حال ، او اى مبرر لوجودهم) « هل تشكو من اى شيء » ؟

هز راسه ، وقال فى صوت منخفض : « انها امى » !

تطلعت اليه الممرضة فى فزع ، ثم نحت نظرها بسرعة ، واحمر وجهها جدا من عدم الارتياح .

ـ « خذينى اليها » .. قال ذلك وهو يبذل جهدا لكى يتكلم بشكل عادى .

قادته إلى العنبر ، ومازال وجهها محمرا جدا . كانت ليندا نائمة فى آخر سرير من صف طويل . عيناها مغلقتان . واكتسى وجهها الشاحب المتورم بمسحة من الغباء والسعادة البلهاء .

انصرفت الممرضة ، وجلس الهمجى بجوار السرير .

همس اليها وهو يمسك يدها : « ليندا » !

وعند سماع اسمها التفتت . وانفتحت عيناها، واستقرتا عليه ، كما لو أنها تعرفت عليه ، ضغطت على يده ، وارتسمت ، وتحركت شفتاها ، ثم فجأة تماما تدلت رأسها الى الأمام . نامت . جلس يرقبها ، يتذكر والدموع فى عينيه حياتهما فى معسكر العزل ، خاصة كل تلك الحكايات التى كانت ترويها له عن المكان الآخر ، وجمال ذلك المكان الآخر ، وتلك الأشياء من مثل السماء والخير والحب . كانت ما تزال منتعشة فى ذهنه ، ولم تفسد ، باتصاله بخيبة الأمل الحقيقية التى لقيها فى لندن ، ومع هؤلاء الرجال والنساء المتحضرين .

قطعت أفكاره بوصول مجموعة من الأطفال الزائرين المزعجين ، الذين أحضرتهم رئيسة الممرضات لمشاهدة الأشخاص الذين يموتون ، كجزء من تدريبهم على التكيف ، ليعودوهم على فكرة الموت . والناس الذين يموتون . فأبعدهم عن سرير ليندا بغضب ،

لكنه عندما جلس ثانيـــة كانت مشاعره وأفكاره قد تغيرت . وبدلا من لحظات طفولته الرقيقة ، عندما كانت ليندا بمثابة الأم الحنون المحبة ، لم يعد يتذكر الآن ســـوى المشـــاهد الســـيئة فى حياتهمـــا ، وهى وحدها أثناء نومها .. بشـــكلها القبيح ، بعد شرب كمية كبيرة من الميسكال .

تقلبت ليندا ، واستيقظت وابتسمت ، دون أن تعى أين هى ، وهمست بصوت خفيض : « بوب ! » .

ـ « لكن ، يا ليندا » تكلم الهمجى فى اضطراب: « ألا تعرفيننى ؟ » .. وضغط على يدها ثانيـــة ، « ألا تعرفيننى ؟ » .

وأحس بضعف نبض يدها . وانهمرت الدموع من عينيه . انحنى فوقها وقبلها .

تحركت شفتاها وهمست ثانية باسم « بوب » وكان ذلك بمثابة ضربة وجهت الى وجهـــه . وفجأة امتلأ بالغضب لتحطم آماله ومثالياته مرتين فى وقت قصير ، مرة على يد لينينا والثانية على يد أمه .

فصرخ فيها : « لكننى جون ! أنا جون ! » وفى ثورة غضبه ويأسه وجد نفسه يمسكها من كتفيها ويهزها .

انفتحت عيناها ثانية . رأته ، تعرفت عليه ..

وهمست قائلة : « جون ! » . وتبدت فى عينها نظرة مرتعبة بسبب ما يكتسى وجهه من غضب . ثم انغفر فوها . وتوقفت أنفاسها . ماتت !

حملق الهمجى فيها للحظة فى صمت متجمد ، ثم سقط على ركبتيه بجوار سريرها ، وغطى وجهه بيديه ، وبكى كما لو كان قلبه قد انفطر .

ووقفت الممرضة وسط العنبر ، لا تعرف ماذا تفعل . أما الأطفال الزوار ، فقد اخذوا يحملقون بعيون متسعة فى ذلك المشهد التعس ، أينبغى عليها أن تكلمه ؟ هل تحاول أن تعيده الى صوابه حتى يتصرف بشكل مناسب ؟ وتذكره أين هو ؟ وأى ضرر يمكن أن يسببه لهؤلاء الأطفال الأبرياء ؟ فلقد أفسد كل ما تعلموه عن التكيف مع الموت ، بسلوكه المقزز

هذا .. كما لو أن الموت شيء مزعج ، حتى يهتم به الناس بهـذا الشكل المبالغ ، كما حدث .

تقدمت ناحيته ، ولمسته من كتفه . **وقالت فى صوت منخفض غاضب** : « الا يمكنك السيطرة على نفسك ؟ » وعندما تطلعت حولها وجدت العديد من الأطفال يتجهون ناحية السرير ، فأصبح من الواجب أن تفعل شيئا لتصرف انتباههم بعيدا عن الهمجى وبكائه .

فسألت بصوت مرتفع مرح : « والآن ، من فيكم يريد قطعة شيكولاتة ؟ » .. فتصايح الأطفال وهم من فصيلة : بوكانوفسكى « أنـا » فى صوت واحد .. ونسى الأطفال الهمجى وأحزانه .

ـ « أوه » يا الهى ، يا الهى ، يا الهى ... » . ظل الهمجى يردد ذلك لنفسه . لم يكن ينطق الا بكلمة واحدة فى غمرة الحزن والأسى الذى سيطر على ذهنه. « يا الهى ! يا الهى ! » كان يهمس بها فى صوت مرتفع .

ـ « ما هذا الذى يقوله ؟ » سمع ذلك من خلال

صوت قريب جدا ومميز ، رغم الموسيقى الحلوة المنبعثة من السماعات .

التفت الهمجى حوله بحدة . فوجد خمسة توائم يرتدون الملابس الكاكى ، وكل منهم يمسك ما تبقى من الشيكولاتة فى يده اليمنى ، ووجوههم المتشابهة ملطخة بالشيكولاتة ، يقفون صفا ويحملقون فيه .

عندما نظر اليهم كشروا جميعهم . وأشار واحد منهم بقطعة الشيكولاتة .

وسأل : « هل ماتت » ؟

وحملق الهمجى فيهم للحظة ، فى صمت . ثم فى صمت وقف على قدميه . ومشى فى هدوء ناحية الباب .

ـ « هل ماتت ؟ » أعاد عليه الطفل السؤال وهو يتقافز متجها ناحيته ، وكله فضول .

ونظر اليه الهمجى ، ودون أن ينطق دفعه بعيدا عنه . فوقع الطفل على الأرض ، وبدأ يعوى على الفور . ولم يلتفت الهمجى حوله أبدا .

تم التحميل من مكتبتي

تحميل من

الفصل الرابع عشر

كان طاقم العاملين بمستشفى بارك لين للموتى، يتكون من مائة واثنين وستين من فصيلة دلتا ينقسمون الى فريقين من مرتبة بوكانوفسكى ، أربعة وثمانون فتاة من ذوات الشعر الأحمر ، وثمانية وسبعون رجلا متشابهين من ذوى الشعر الأسود .. و فى الساعة السادسة ، عند انتهاء عملهم اليومى ، تلتقى المجموعتان فى الصالة الأمامية للمستشفى ، حيث يقوم مسئول كبير بتوزيع حصصهم من السوما .

خرج الهمجى من المصعد ومشى وسطهم ، لكن ذهنه كان فى مجال آخر .. مع الموت ، والحزن والأسى ، ودون أن يرى ماذا فعل ، بدأ يشق طريقه باندفاع خلال هذا الجمع .

ـ « من أنت حتى تدفعنا ؟ الى أين تظن نفسك ذاهبـا » ؟

ولم يصله من خلال الحناجر الزاعقة والمنخفضة لهذا الجمع الا صـوتان ، يتكرران بلا نهاية كأنه يقف بين مرآتين ، صـدرا عن وجهين أحدهما ذو شـعر أحمر والآخر ذو شـعر أسود ، ثم التفتـا اليه فى غضب . وجعلته كلماتهما التى كانت تصـدمه بحدة فى ضلوعه ، أكثر مما تؤثر فيه مرافقتهما ، يفيق الى وعيه . وأصبح أكثر ادراكا لعـالم الواقع ، ونظر حوله فرأى عددا لا يحصى من المخلوقات المتشابهة . يلتفون حوله متشابهون .. متشابهون . لقد زمجر الأطفـال المتشـابهون ، عنـدما رأوا ليندا ميتـة . أما الآن ، فهنـاك كم أكبر من المخلوقـات الكبيرة ، أفسـدوا عليه حزنه وأسـاه . توقف وأخذ يحملق متخيلاً ، فى تلك المجموعة التى ترتدى الكاكى التى فى الوسـط ، وأصبح أطول منهـا بمقدار رأس حيث وقف .. « يا للناس الطيبين الموجودين هنا ! » .. كانت كلمات الأغنية تسخر منه .. « كم هو جميل

الجنس البشرى ! عالم رائع جديد ... » . ثم صاح صوت عال : « توزيع السوما ! هيا ، أسرعوا الى هنا ، بنظام ، أرجوكم » .

فتح باب ، وجىء بمنضدة وكرسى الى مقدمة الصالة . وكان الصوت لشاب يافع من فصيلة ألفا ، الذى دخل يحمل خزانة حديدية . وسرت همهمة رضا من الجموع المتشابهة المنتظرة على شوق . نسوا كل ما يتعلق بالهمجى . حيث كان انتباههم مركزا الآن على الخزانة الحديدية السوداء ، التى وضعها الرجل على المنضدة وبدأ يفتحها فى تلك اللحظة ، ورفع الغطاء .

ـ « هيه ! هيه ! » .. وهتف الستمائة والاثنان والستون صوتا دفعة واحدة فى ابتهاج !

وأخرج الرجل عددا من علب الحبوب . وصاح آمرا : « والآن ، تقدموا الى الأمام من فضلكم . كل فى دوره ولا داعى للتزاحم » .

وتقدم التوائم ، كل فى دوره تزاحم . شابان أولا ثم فتاة ، ثم فتى وبعده ثلاث فتيات ، ثم ...

وقف الهمجى يشاهد ما يجرى . « عالم رائع جديد ، أوه عالم رائع .. » وبدأت كلمات الأغنيـة تأخذ ايقاعا متغيرا فى ذهنـه . لقد سخرت الكلمات منه أثناء حزنه وأساه . والآن ، وفجأة تدعوه الى الفعل . « أوه ، أيها العـالم الرائع الجديد ! » . كان ميراندا يعلن عن امكانية الحب وحتى امكانيـة تغيير الحياة التى تشبه حلما بشعا المحيطة به الى شىء راق نبيل . « أوه أيها العالم الرائع الجديد » . كان تحديا ، كان أمرا .

ـ « لا داعى للتزاحم ، الآن » .. صاح المسئول بغضب . واقفل الخزانة بعنف : « سـوف أوقف التوزيع ، الا اذا تصرفتم بشكل جيد » .

غمغم أفراد الدلتا ، وتدافعوا قليلا ثم ثبتوا فى أماكنهم .. فقد كان لكلماتـه تأثير فعـال . فعدم الحصول على السوما ـ مسألة مرعبة ! .. **وقـال الرجل وهو يعيد فتح الخزانة :**

ـ « هذا أفضل » .

لقد كانت ليندا عبدة .. ولقد ماتت ليندا . وينبغى على الآخرين أن يعيشوا فى حرية ، والعالم يجب أن يكون جميلا . وفجأة اتضح للهمجى ما ينبغى عليه عمله .

وقال المسئول : « الذى بعده » .

فتقدمت فتاة ترتدى الكاكى الى الأمام .

. فصاح الهمجى بصوت عال رنان : « توقفى ! توقفى » !

وشق طريقه الى المنضدة . وحملقت فيه جموع الدلتا بدهشة .

فقال المسئول وهو يكتم غيظه : « أوه فورد ! انه الهمجى » ! وشعر بالخوف .

وصاح الهمجى بجدية : « أصغوا الى ، أرجوكم ، أعيرونى أسماعكم .. ولما لم يكن قد تكلم الى جمهور أبدا من قبل ، فقد وجد المسألة غاية فى الصعوبة ، لكى يعبر عما كان يريد أن يقوله :

« لا تأخـذوا ذلك الشيء اللعين . انه سـم ، انه سـم » .

فقال المسئول بابتسامة مترددة : « لو سمحت أيها السيد الهمجى ، ماذا يهمك لو تركتنى » ...

ـ « انه سـم للروح ، تماما مثلمـا هو سـم للجسـد » .

ـ « لا بأس ، لكن دعنى أقم بعملية التوزيع ، أرجوك ؟ لا داعى أيها الزميل طيب » .. وبحذر من يحرض حيوانا على العض ، ربت على ذراع الهمجى :

« أرجو أن تدعنى » .

ـ فصاح الهمجى :

ـ « لا .. أبدا » .

ـ « لكن ، اسمع أيها الرجل » .

ـ « ألق بعيدا بهذا السم لأبيض » .

أثارت كلمات مثل « ألق به بعيدا » انتبـاه

الدلتا الأغنياء ، وانتبهوا الى ما يجرى . وسرت همهمة غاضبة من الجميع .

ـ « لقد جئت من اجل تحريركم » ثم التفت الى التوائم **وقال** : « لقد جئت ... » .

لم يستمع المسئول أكثر من ذلك . فانسحب من الصالة وهو يبحث عن رقم تليفون فى مذكرة تليفوناته .

* * *

قال برنارد : « ليس موجودا فى حجرته .. أو حجرتى . او فى المركز ، أو الكلية . الى اين يمكن ان يكون قد ذهب » ؟

هز هلمولتز اكتافه .. فلقد عادا من عملهما وهما يتوقعان أن يجدا الهمجى ينتظرهما فى مكان أو آخر ، من الأمكنة التى تعودوا الالتقاء فيها ، لكن لم يكن له أثر . وقد أفسد ذلك تخطيطهم ، حيث كانوا قد قرروا الذهاب الى « بيارتز » فى طائرة

هلمولتز « الأسبور » ذات الأربعة مقاعد . ومن الممكن أن يتأخروا على العشاء اذا لم يحضر الآن .

قال هلمولتز : « سنعطيه فرصة خمس دقائق أخرى . واذا لم يحضر خلالها فلسوف ... ».

قطع كلامه رنين جرس التليفون . التقط السماعة . « آلو ، من المتكلم » وبعد برهة طويلة من الاستماع **صاح مندهشا :**

ـ « أوه فورد ! . سأحضر فورا » .

فسأله برنارد : « ماذا حدث ؟ » .

ـ « زميل أعرفه يعمل فى مستشفى بارك لين يقول ان الهمجى هناك . ويبدو أنه قد أصيب بالجنون ، على أية حال ، المسألة عاجلة ، هل تأتى معى ؟ .

وأسرع الاثنان عبر الردهة تجاه المصاعد .

ـ « لكن ، أترغبون فى ان تكونوا عبيدا ؟ » كان الهمجى يقول ذلك عندما دخلا المستشفى .. وجهه

أحمر ، وعيناه تبرقان من الانفعال والغضب . ودفعه غباؤهم الحيوانى للتمادى فى اهانتهم رغم أنه جاء لانقاذهم . **وقال** : « أتودون أن تصبحوا مثل الأطفال ؟ أجل ، مثل الأطفال . تولولون وتلعبون » .

ولم تستطع الاهانات أن تؤثر فيهم لفرط غبائهم ، فحملقوا فيه بتعبير ابله واستياء غبى تبدى من خلال عيونهم . وصاح : « أجل ، تلعبون ! » .

وكما لو أن مشاعر الحزن والندم ، والشفقة والواجب ، قد نسيت فى هذه اللحظة وذابت وتحولت الى نوع من الكراهية اللا ارادية تجاه أولئك الكائنات الأقل درجة من البهائم . **فقال** : « ألا تريدون أن تصبحوا أحرارا ورجالا ؟ . ألا تريدون ؟ » لكنه لم يتلق اجابة لسؤاله . « حسن جدا ، اذن سأعلمكم ، سأجعلكم أحرارا ، سواء رغبتهم أم لا » .. واندفع وفتح نافذة والقى نظرة على فناء المستشفى الداخلى ، وبدأ فى القاء علب حبوب السوما بيديه .

والحظة انتاب مجموعة الكاكى الصمت ، وتجمدوا من الدهشة والرعب لمرأى تلك الجريمة الفظيعة .

وهمس برنارد ، وهو يحملق بعينين متسعتين للغاية : « لقد جن . سوف يقتلونه . سوف .. » وفجأة ندت صيحة عالية من الجمع ، تغذيها حركة متدافعة مهددة متجهة نحو الهمجى . **فقال برنارد وهو يحول نظره بعيدا :** « ساعد يا فورد ! » .

ـ « ان فورد لا يساعد الا من يساعدون انفسهم » قال هلمولتز واتسون ذلك وهو يضحك ضحكة مرحة حقيقية ، وهو يشق طريقه وسط الجمع .

« أحرار ، أحرار ! » واصل الهمجى صياحه ، وهو يلقى حبوب السوما فى الفناء بيد ، بينما كان يضرب بقبضة يده الأخرى الوجوه المتشابهة التى تهاجمه .. « أحرار » .. وفجأة وجد هلمولتز الى جانبه .. « الصديق العزيز هلمولتز ! » وكان

يضرب هو الآخر .. « رجال فى النهاية ! » ومن حين لحين يلقى بالبسموم بيده من خلال النافذة المفتوحة وهو يصيح : « أجل ، رجال ! رحال ! رجال ! » ولم يعد هناك شيء من الحبوب . ورفع الخزانة الى أعلى ليتأكدوا أنها فارغة : **وصاح** : « أنتم الآن أحرار ! » .

واحتشدت جموع الدلتا تصرخ فى غضب :

قال برنارد عند قرب نهاية المعركة وهو متردد :
« أنهم يستحقونها » ثم اندفع الى الأمام بالحاح مفاجيء للمساعدة ، ثم قرر ألا يفعل ، وتوقف ، وعندما أحس بالخجل تقدم للأمام ثانية ، ثم قرر ثانية ألا يفعل ، ووقف هناك خجلا من تردده ، وهو يفكر فى انهم ربما يقتلونهما لو أنه لم يتقدم لنجدتهما ، وربما يقتل هو كذلك لو فعل ذلك .. وبينما هو فى هذه الحالة (وشكرا لفورد !) اندفع رجال البوليس بأقنعتهم الواقية من الغاز ، التى تشبه وجوه الخنازير .

اندفع برنارد لملاقاتهم ، ولوح بذراعيه فى حركة تمثيليـــة ، وهو يصيح : « النجدة ! » لعدة مرات وبصوت أعلى وأعلى ، ليقنع نفسه بأنه قام بالمساعدة. « النجدة ! النجدة ! النجدة ! » .

دفعه رجال البوليس بعيدا عن طريقهم وشرعوا فى عملهم . وأخذ ثلاثة منهم يرشون سحابات كثيفة من بخار السوما فى الهواء من اسطوانات مثبتـــة على أكتافهم ، وانشغل اثنان منهم حول جهـــاز الموسيقى الصناعية المتنقل . فى حين كان هنـــاك أربعة آخرون يحملون مسدسـات مائية محشـــوة بمادة صناعيـــة فعالة ، يشقون طريقهم بين الجموع ، وبدأوا فى عملهم مبـــاشرة بالرش دفعـــة دفعـــة ، لتهدئـــة شراســـة المتقاتلين .

وصرخ برنارد : « بسرعة ، بسرعة ! سيقتلان ان لم تسرعوا .. أوه ! » . وزهقـــا من صراخه ، سدد أحد رجال البوليس نحوه دفعة من مسدسه المـــائى . فوقف برنارد للحظة أو لحظتين على ساقيه المرتعشتين ، ثم سقط مكوما على الأرض .

فجأة انبعث من جهاز الموسيقى الصناعية صوت ، صوت متكرر ومريح .. كان شريط الصوت يعاد أتوماتيكيا على نفس المقطع الثانى فى فن التحكم فى الجماهير (القوة المعتدلة) ومن أعماق القلب مباشرة قال الصوت الذى ليس له مثيل : « أصدقائى ، أصدقائى » . كان بالصوت رنة أسى . لدرجة أن رجال البوليس أنفسهم قد تأثروا ، وامتلأت عيونهم خلف الأقنعة بالدموع .

ـ « ما معنى هذا ؟ الستم جميعا سعداء وطيبون مع بعضكم ؟ سعداء وطيبون » .. وكرر الصوت ذلك وتهدج ، ثم تحول همس قادم من بعيد « أوه ، كم أود أن تكونوا سعداء فعلا » .. ثم أصبح الصوت حادا مرة ثانية **وقال :** « كم أود فعلا أن تكونوا طيبين ! ارجوكم ، أرجوكم ، كونوا طيبين .. » .

بعد مرور دقيقتين أحدث الصوت وبخار السوما تأثيرهما .. ومن خلال الدموع كانت جموع الدلتا

تقبل بعضها ويحتضن بعضها البعض فى نفس الوقت . حتى هلمولتز والهمجى كانا يبكيان . وأحضر مدد جديد من علب اقراص السوما من مخازن المستشفى، وتم توزيعها بسرعة ، وعلى صوت الوداع الرقيق من قبل الصوت بدأ التوائم فى مغادرة المكان وهم يبكون وكأن قلوبهم قد انفطرت . « وداعا أيها الأصدقاء الأعزاء ، وليرعكم فورد ! وداعا ! يا أعزائى ، يا أعزائى » ...

عندما انصرف آخر أفراد الدلتا ، أوقف رجال البوليس التيار . وتوقف الصوت السماوى .

ـ « سلما نفسيكما فى هدوء ، لو سمحتما ؟ والا سنضطر الى تنويمكما ؟ طلب منهما جاويش ذلك وهو يشير الى مسدسه المائى .

ـ « أوه ، سنسلم أنفسنا فى هدوء » .. أجاب الهمجى ، وهو يمسح شفته المقطوعة ، وعنقه المجروح، وعضة فى يده اليسرى . أما « هلمولتز » الذى كان يضع منديله على أنفه النازف ، فقد هز رأسه موافقا .

وعندما أفاق برنارد ، واستطاع أن يقف على قدميه ، انتهز هذه اللحظة ، فتحرك بهدوء على قدر ما يستطيع تجاه الباب .

ـ « هيه ، أنت هناك ! » نادى عليه الجاويش ، وعلى الفور أسرع ناحيته رجل بوليس يرتدى قناعا وأمسك به من كتفه .

التفت برنارد بتعبير اندهاش البرىء . اهرب؟ لم يخطر بباله مثل هذا الأمر . **وقال للجاويش :** « ماذا تريد منى بحق الأرض . أنا لا أتصور لماذا ؟ » .

ـ « انت صديق للمقبوض عليهما ، أليس كذلك ؟ » .

ـ « أجل » .. قال برنارد ، ثم تردد . وحقيقة لم يستطع أن ينكر ذلك ، ثم **سأل :** « لماذا يقبض على ؟ » .

قال الجاويش : « هيا ، اذن » واصطحبه الى الباب حيث كانت عربة البوليس فى الانتظار .

تم التحميل من مكتبة

الفصل الخامس عشر

كانت الحجرة التى استدعوا اليها هى مكتبة **الحاكم العام** ، وقال الخادم وهو من فصيلة الجاما : « سيصل صاحب السعادة الفوردية خلال لحظة » ثم تركهم وحدهم .

ضحك هلمولتز بصوت عال ، **وقال** : « ان المسألة أشبه ما تكون بدعوة لشرب القهوة الصناعية وليست بمحاكمة » . وجلس فى أكثر الكراسى راحة .

ثم أضاف قائلا : « ابتهج يا برنارد » عندما رأى وجه صديقه ، الشاحب التعس . لكن برنارد لم يرد أن يبتهج . ودون أن يجيب ، وحتى دون أن يكلف نفسه بالنظر الى هلمولتز ، ذهب ليجلس على

تم التحميل من مكتبة

أكثر الكراسى راحة فى الحجرة ، اختاره بعناية على أمل بأن يزيح عنه غضب السلطات العليا .

أما الهمجى فكان فى تلك الأثنـــاء يتجـول فى الحجرة بقلق ، ويتـطلع بقليل من الاهتمام الى الكتب الموجودة على الأرفف ، وكذلك الى أشرطة التسجيل وماكينات قراءة الأفلام وهى مرصوصة ، على منضدة أسفل النافذة كان يوجد مجلد ضخم مغلف بجـلد صـــناعى أســـود ، ومختوم بحـرفين مـذهبين « ت.اس » .. تناول الكتاب وفتحه . « حيـاتى وأعمـالى . تأليف فورد » كان الكتـاب قد نشر فى ديترويت بمعرفة جمعية الدعاية للمعرفة الفوردية . وأخـذ يقلب الصفحات دون اهتمـام ، يقرأ جمـلة هنا ، وفقرة من هناك ، وعندما قرر أن الكتـاب لا يهمه ، فتح البـاب ودخل الحـاكم العام لأوروبا الغربية ، يسير فى هدوء داخل الحجرة .

صافح مصطفى موند ثلاثتهم ، لكنه وجه الكلام بصفة خاصة الى الهمجى وكأنه يخاطب نفسـه : وهكذا فأنت لا تحب المدنية كثيرا يا سيد همجى ! » .

نظر اليه الهمجى . كان قد اعد نفسه ليكذب ويجادل ، ويبقى صامتا ، لكنه وقد تشجع عندما رأى وجه الحاكم الذى يتسم بالذكاء ، فقرر أن يقول الحقيقة وبصراحة تامة .

ـ « أجل » .. وهز رأسه .

وتبدى الفزع والرعب على برنارد . ماذا سيظن فيه الحاكم ؟ أن يصنف كصديق لرجل قال انه لا يحب المدنية .. وقالها بصراحة ـ وأمام الحاكم بصفة خاصة ـ فذلك أمر مرعب .

ثم شرع يتكلم وقال : « لكن يا جون » .. لكن نظرة من مصطفى موند كانت كفيلة بأن تلزمه صمتا مرعبا .

وواصل الهمجى كلامه معترفا : « بالطبع ، هناك أشياء رائعة جدا . فكل تلك الموسيقى المنتشرة فى الجو ، على سبيل المثال ...

« فأحيانا يرن فى أذنى عزف آلاف الآلات

الموسيقية ، وأصوات بشرية أحيانا أخرى » (وهـذا الكلام من مسرحية العاصفة لشكسبير) .

واشرق وجه الهمجى بسعادة مفاجئة **وسـأل :** « هل قرأت ذلك الكتاب أيضا ؟ (يقصـد مسرحيـة شكسبير) .. أعتقد أنه لا يوجد أحد يعرف شيئا عن ذلك الكتاب هنا ، فى انجلترا ؟ » .

ـ « لا أحد تقريبا . وأنا أحد القلائل جدا . انه ممنوع ، كما ترى . لكن طالمـا اننى أسن القوانين بامكانى أيضا ان ألغيها ، دون أن أعاقب يا سـيد ماركس » . والتفت الى برنارد . **وأضـاف :** « الأمر الذى أخشى الا يكون فى امكانك القيام به » .

وغرق برنارد فى حالة من اليأس القاتل .

ـ « لكن لمـاذا هو ممنوع ؟ » سـأل الهمجى ، وهو فى غمرة ابتهاجه لمقابلة رجل قرأ شكسبير ، لذا فقد نسى للحظة كل شىء .

اشراب الحاكم بكتفيه **وقـال :** « لأنه قديم .

هذا هو السبب الرئيسى . ولا فائدة تعود علينا هنا ، من الأشياء القديمة » .

ـ « حتى ولو كانت جميلة ؟ » .

ـ « وبالذات عندما تكون جميلة . فالجمال جذاب ، ونحن لا نريد الناس أن تنجذب للأشياء القديمة . نحن نريدهم أن يحبوا الجديد » .

ـ « لكن الأشياء الجديدة تتسم بالغباء والفظاعة . فتلك الأفلام ، لايوجد بها شىء سوى طائرات الهليوكوبتر ، وأناس يقبلون بعضهم طول الوقت » ، واكتسى وجهه بنوع من التقزز . ولم يجد سوى كلمات عطيل لتكون كافية للتعبير عن احتقاره وكراهيته فقال : « ماعز ، وقرود ! » .

وقال الحاكم :

ـ « انها حيوانات لطيفة ، بأى حال من الأحوال » .

ـ « لماذا لا تدعهم يشاهدون « مسرحية عطيل » بدلا من ذلك » ؟

ـ « قلت لك ، انها قديمة ، بالاضافة الى انهم لن يفهموها » .

أجل ، كان ذلك صحيحا ، وتذكر كيف كان هلمولتز يضحك عندما قرأ عليه مسرحية « روميو وجولييت » . **وقال بعد فترة صمت :** « حسن اذن ، فليشاهدوا شيئا جديدا على غرار عطيل ، وبالتالى يمكنهم فهمه » .

وقطع هلمولتز فترة الصمت الطويلة **وقال :** « ذلك ما كنا نريد أن يكتب » .

فقال الحاكم : « وهذا ما لن تكتبه أبدا . لانه اذا كان على غرار عطيل ، فلن يفهمه أحدا ، مهما كان جديدا . لكن اذا كان هناك شيء جديد ، فلا يمكن بأى حال ما الأحوال أن يكون مثل عطيل » .

ـ « ولم لا » ؟

ـ « أجل ، ولم لا ؟ » .. ردد هلمولتز ذلك وقد نسى تماما الواقع السيىء للموقف الذى هم فيه . فيما عدا برنارد الذى كان شاحبا من الخوف وقلقا

على المستقبل ، وذكرهما بذلك . لكنهما لم يلقيا بالا له .

ـ « ولم لا » ؟

ـ « لأن عالمنا ليس عالم عطيل . لا تستطيع أن تقدم المآسى طالما لا يوجد شقاء .. الناس الآن سعداء . يحصلون على ما يرغبون ، ولا يرغبون فى شىء لا يستطيعون الحصول عليه . فهم منعمون . آمنون . لا يمرضون أبدا . ولا يهابون الموت ، لا يعرفون شيئا عن العواطف ولا العهود القديمة . لا يقلقون على الأمهات أو الآباء . ليس لديهم زوجات أو أزواج ، ولا أطفال ، ولا يحبون أن تكون لديهم مشاعر قوية تجاه ذلك . لقد تم تكيفهم حتى لا يستطيعوا من الناحية العملية التصرف الا بما تم عليه تكيفهم . ولو حدث وسارت الأمور على غير ما يرام ، فهناك حبوب السوما . التى قمت أنت بالقائها من النافذة باسم الحرية ، يا سيد همجى » . ثم ضحك وقال : « الحرية ! .. هل كنت تتوقع أن الدلتا يعرفون ما هى الحرية ! وتتوقع منهم الآن

أن يفهموا عطيل ؟ كيف تسنى لك أن تكون لديك مثل هذه الفكرة » !

ظل الهمجى صامتا لفترة .« على أية حال »، واستمر الهمجى مصرا على الجدل ، « فعطيل مسرحية جيدة . عطيل أفضل كثيرا من تلك الأفلام » .

فوافقه الحاكم : « بالطبع عطيل عمل جيد .. لكن هذا هو الثمن الذى يتحتم علينا أن ندفعه من أجل الاستقرار .. عليك أن تختار بين السعادة وبين ما يسميه الناس الفن الراقى . لقد ضحينا بالفن الراقى . ولدينا بدلا منها أفلام العشق والغرام » .

ـ « لكنها لا تعنى أى شىء » .

ـ « انها لا تعنى اكثر من نفسها . تعنى الكثير من المشاعر المبهجة للمشاهدين » .

ـ « لكنها .. لكنها .. شىء يرويه أبله » .

ضحك الحاكم وقال : « انت بذلك تجرح مشاعر صديقك السيد واتسون ، فهو أحد مهندسينا المتميزين فى العواطف » .

فقال هلمولتز فى يأس : « لكنه على صواب . ذلك ان الكتابة حيث لا يوجد شىء يمكن أن يقال . مجرد عبث » .

ـ « بالضبط . لكن الكتابة من ذلك النوع تتطلب مهارة فائقة .. ان نصنع شيئا ، وبصفة خاصة من لاشىء » .

هز الهمجى رأسه وقال : « تبدو المسألة كلها فظيعة بالنسبة لى » .

ـ « هى كذلك بالفعل . فالسعادة ليست مثيرة مثل البؤس ، السعادة ليست بالشىء الضخم .

فقال الهمجى بعد فترة صمت : « لا اعتقد ذلك . لكن هل هناك ضرورة لأن تكون بمثل ذلك السوء ، الذى عليه حال أولئك التوائم ؟ وأصابته رعدة عندما تذكر منظر كل أولئك المتشابهين وهم يقفون صفوفا طويلة ، الأقزام القبيحة ، وهم ينتظرون توزيع السوما ، ومنظرهم وهم يزمجرون حول سرير ليندا ـ الميتة ، وهم يهاجمونه جميعا من خلال

وجه واحد يتكرر بلا نهاية . ونظر الى العضة التى فى يده وارتجف **وقال** : « شيء فظيع » !

ـ « لكنهم مفيدون جدا . أرى أنك لا تحب مجموعاتنا من فصيلة بوكانوفسكى ، لكنى أؤكد لك انهم الأساس الذى يقوم عليه كل شيء آخر . انهم يمدوننا بالاستقرار الذى يعتمد عليه كل النظام الاجتماعى » .

قال الهمجى : « لقد كنت أتساءل ، لماذا كل هذا الكم لديكم ، فى حين اننى أرى أنه بامكانكم أن تنتجوا ما تريدون من تلك الزجاجات . لماذا لا تجعلون الجميع من فصيلة ألفا ـ مزدوج ـ موجب ، التى أنت منها ؟

ضحك مصطفى موند وأجاب : « لأننا لا نريد أن تقطع رقابنا . نحن نؤمن بالسعادة والاستقرار . ان مجتمع الألفا لايمكن أن يصبح غير مستقر أو بائس . فالواحد من فصيلة الألفا يمكن أن يجن اذا تحتم عليه أن يقوم بعمل واحد من فصيلة الابسيلون .

يجن . أو يبدأ فى تحطيم الأشياء . فالابسيلون فقط يتوقع منه ، أن يقدم التضحيات المطلوبة منه ، فى نفس الوقت الذى لا يضحى الآخرون من أجله . فهو مكيف للحياة التى ينبغى عليه أن يعيشها . لايستطيع أن يفعل غير ذلك » .

تنهد الهمجى ..

وقال مصطفى موند : « ان التوزيع السكانى النموذجى ، مثل جبل الثلج العائم فى الماء .. ثمانية على تسعة منه تحت الماء ، وواحد على تسعة فوق الماء .

ـ « وهل هم سعداء تحت سطح الماء » ؟

ـ « بل أسعد ممن هم فوق سطح الماء . أسعد من أصدقائك الموجودين هنا ، على سبيل المثال » . وأشار اليهما .

ـ « بالرغم من ذلك العمل الفظيع » ؟

ـ « الفظيع ؟ انهم لا يرونه كذلك . بل على

العكس ، يحبونه . انه عمل بسيط ، فى بساطة لعب الأطفال . ليس به أى ضغط على الذهن أو العضلات . سبع ساعات ونصف من العمل اللطيف ، دون جهد بدنى زائد ، بعد ذلك يتم توزيع السوما ، والألعاب ووسائل تسلية أخرى متوفرة لهم ، ماذا يطلب الانسان أكثر من ذلك ؟ حقيقة » . **ثم أضاف** : « ربما بطالبون بتقليل ساعات العمل ، لكن هل سيكونون أكثر سعادة لذلك ؟ كلا . ولقد نفذنا التجربة منذ قرن ونصف مضى ، فى ايرلندا كلها ، وقام العمال لمدة أربع ساعات يوميا . فماذا كانت النتيجة ؟ عدم الارتياح ، وتعاطى كميات كبيرة من السوما . ومكتب الاختراعات ملىء بالخطط للحفاظ على تطور العمل . آلاف الخطط » .

وباعد مصطفى موند ما بين ذراعيه ليعطى فكرة عن أكوام الخطط . « لكن لماذا لا نستخدمها ؟ . من اجل العاملين . لأنه من الظلم أن نتيح لهم الكثير من أوقات الفراغ . نفس الشىء بالنسبة للزراعة . فبامكاننا انتاج ما يكفى لاطعام الجميع من الغذاء

الصناعى ، اذا اردنا ذلك . لكننا لا نريد . فنحن نفضل أن يكون ثلث السكان يعملون فى الأرض . كل ذلك من اجل خاطرهم . لأن الحصول على الغذاء من الأرض يستغرق وقتا طويلا اكثر من استخراجه من المصانع . بالاضافة الى الاستقرار المتوفر لدينا ، ولابد أن نضعه فى الاعتبار . نحن لا نريد التغيير . فكل تغيير هو تهديد للاستقرار . وهذا سبب آخر ، لحرصنا الشديد عند استعمال مخترعات جديدة . كل اكتشاف علمى محض ، من الممكن ان يؤدى الى ثورة . حتى العلم لابد ان يعامل أحيانا على انه عدو محتمل . نعم ، حتى العلم ! » .

ـ « ماذا ؟ » تساءل هلمولتز فى دهشة واكمل : « لكننا نعلم الناس بأن العلم المجرد هو كل شىء . حتى من خلال التعلم أثناء النوم ! » .

فاضاف بارنارد : « ثلاث مرات فى الأسبوع ما بين سن السابعة والثالثة عشرة » .

ـ « وكل تلك الدعاية التى نقوم بها فى الكلية .. » .

فسأل مصطفى موند : « نعم ، لكن أى نوع من العلم ؟ .. انت لم تتلق تدريبا علميا ، لذا لا يمكنك أن تحكم . لقد كنت عالما متميزا على أيامى . متميز جدا .. متميز بما فيه الكفاية لاثبات أن علمنا ما هو الا مجرد كتاب فى فن الطبخ ، تدعمه نظرية رسمية للطبخ ولا يسمح لأحد بالسؤال . وقائمة بالوصفات لايمكن اضافة أى شىء عليها ، الا باذن خاص من كبير الطهاة . أنا الآن كبير الطهاة ، لكنى كنت ذات يوم صبيا فى المطبخ ، له ذوق فى ابتداع الأشياء ، وبدأت اطبخ صنفا خاصا بى ، طبيخ غير رسمى ، طبيخ غير قانونى . نوع من العلم الحقيقى ، حقيقة » .. ثم كف عن الكلام .

ـ « وماذا حدث ؟ » .. فسأل هلمولتز واتسون .

فتنهد الحاكم .

ـ « شيء اشبه بما سوف يحدث لكم . كنت على وشك أن يبعثوا بى الى احدى الجزر » .

فزع واقفا وجرى عبر الحجرة ، ووقف يلوح بذراعيه أمام الحاكم **ويقول :** « لايمكن أن تبعث بى . أنا لم أفعل أى شيء . بل هما . أقسم على ذلك » . وأشار بأصبع اتهام الى هلمولتز والهمجى . « أوه ، أرجوك الا تبعث بى الى ايسلندا . أعدك بألا أفعل الا ما ينبغى على فعله . امنحنى فرصة أخرى . أرجوك امنحنى فرصة اخرى » .. وبدأت الدموع تنساب .. « أقول لك انه غلطتهما » .. وبكى .. « ليس الى ايسلندا . أوه ارجوك ، يا صاحب السعادة الفوردية ، ارجوك » .. وفى غمرة من اليأس ألقى بنفسه على ركبتيه أمام الحاكم . حاول مصطفى موند أن ينهضه ، لكنه بقى مكانه ينتحب ويعترض .

فى النهاية دق الحاكم جرسا لسكرتاريته الرباعية . **واصدر امرا :** « احضر ثلاثة رجال ،

وخذوا السيد ماركس الى حجرة نومه . أعطوه جرعة قوية من رشات السوما ، ثم ضعوه فى الفراش . واتركوه » .

وخرج السكرتير وعاد ومعه ثلاثة توائم من المعاونين يرتدون زيا أخضر . وحملوا برنارد الى الخارج وهو ما يزال يصرخ ويبكى .

قال الحاكم عندما أغلق الباب : « يكاد المرء يتصور انه ذاهب الى حيث تقطع رقبته . ولو لديه اقل قدر من الوعى ، لتأكد أن عقابه هذا ما هو الا جائزة فى الحقيقة . اذ يمكن القول بأنه سيرسل الى مكان سوف يقابل فيه مجموعة ظريفة جدا من الرجال والنساء ، يندر وجودهم فى أى مكان فى العالم . سيقابل كل الناس الذين لسبب أو آخر يتميزون بتفردهم الشديد ولا يتوافقون مع حياة المجتمع . كل الناس الذين لم يقتنعوا بأن يكونوا مثل الآخرين ، لديهم افكارهم الخاصة . كل فرد ، بمعنى من المعانى ، ليس كالآخر .. لكم احسدك يا سيد واتسون » .

ضحك هلمولتز وقال : « اذن لماذا لا تذهب انت الى احدى الجزر ؟ » .

ـ « لاننى فى النهاية ، فضلت ذلك . عرض على أن أختار ، اما أن يبعث بى الى احدى الجزر ، حيث استطيع ممارسة مجالى العلمى ، أو أن أنضم الى مجلس الحاكم ، مع تأكيد من داخل نفسى باننى سأصبح حاكما . اخترت ذلك وتركت العلم لحال سبيله . وأصبحت فى الحكم منذ ذلك الحين . وللحقيقة ، فهى ليست مهمة طيبة بالطبع . لكنها مناسبة جدا بالنسبة للسعادة . فالسعادة لها ثمنها الذى تدفعه . أنت تدفع ثمنها ـ يا سيد واتسون ـ تدفع لأنك مغرم جدا بالجمال . لقد كنت مغرما جدا بالحقيقة . لذا فأنا أدفع أيضا » .

سأله الهمجى بعد فترة صمت : « لكن ألم تذهب أبدا الى احدى الجزر » ؟

ابتسم الحاكم وقال : « وهذا يظهر مدى ما دفعته . ان اختيارى لخدمة السعادة يعنى أن أخدم الآخرين .. ولست أنا . **ثم أضاف بعد فترة** « من حسن الحظ ، أنه توجد جزر كثيرة فى العالم لست أدرى ماذا كان يمكن أن نفعل دون وجودها . والا كنت وضعتكم كلكم فى حجرة الغاز ، على ما أعتقد . بالمناسبة يا سيد واتسون . هل تفضل المناخ الاستوائى ، أم مناخا آخر يجعلك أكثر حيوية » ؟

نهض هلمولتز من على كرسيه **وأجاب :** « أفضل أن أكون فى مناخ سيىء . لاننى أعتقد ان المرء يستطيع أن يكتب بطريقة أفضل ، لو كان المناخ سيئا . حبذا لو كانت هناك رياح وعواصف ، على سبيل المثال » .

هز الحاكم رأسه موافقا : « انا احب روحك

يا سيد واتسون . أحبها كثيرا جدا فى الحقيقة . بنفس الدرجة على عدم موافقتى عليها من الناحية الرسمية » . **وابتسم وقال :** « ما رأيك فى جزر الفوكلاند » .

فأجاب هلمولتز : « لا بأس ، أعتقد انها مناسبة . والآن ، اذا لم يكن يضيرك ، سوف أذهب لرؤية كيف حال برنارد المسكين » !

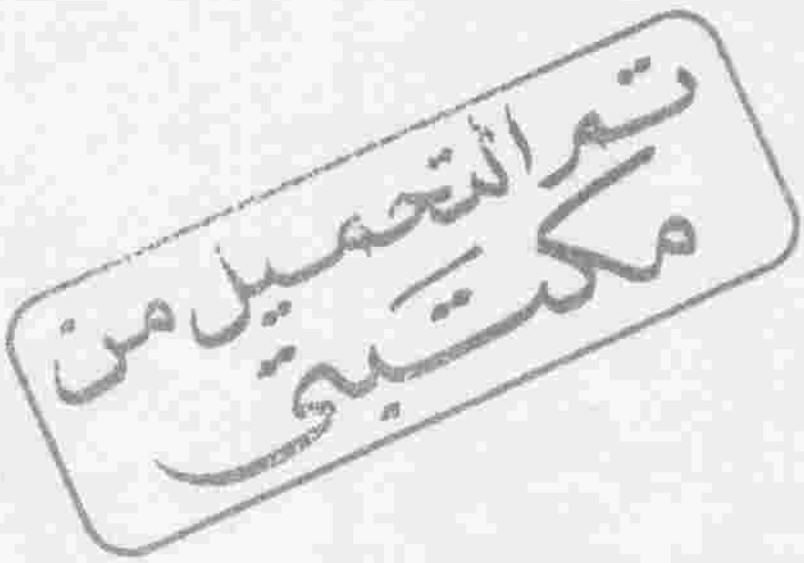

الفصل السادس عشر

« الفن ، والعلم .. يبدو أنك تدفع ثمنا غاليا جدا لسعادتك » **قال الهمجى عندما أصبحا وحدهما :** « هل هناك شىء آخر » ؟

فأجاب الحاكم : « بالطبع ، هناك العقيدة . ففى وقت من الأوقات كان هناك شىء يدعى الاله . لكننى نسيت ، أنك تعرف كل ما يحيط بالاله ، على ما أعتقد » .

ـ « حسن ... » وتردد الهمجى . فقد كان يود أن يقول شيئا عن العزلة ، وعن الليل ، وعن السهول المترامية الشاحبة تحت ضوء القمر ، عن الجرف ، عن السير فى ظلام الظلام ، عن الموت . كم كان يود أن يتكلم ، لكن الكلمات ضاعت منه ؛ حتى كلمات شكسبير .

تم التحميل من مكتبتي

وقــال مصطفى موند : « فى الحقيقــة ، أنك تطالب بحقك ، فى أن تكون غير سعيد » .

فقال الهمجى بجسارة : « لا بأس اذن ، أنــا أطالب بحقى فى أن أكون غير سعيد » .

ـ « هذا فضــلا عن الحق فى أن تغدو عجوزا قبيحا ، وضعيفا ، الحق فى المعاناة من الأمراض ، الحق فى أن يكون لديك القليل لتأكله ، الحق فى أن تعيش فى خوف دائم مما قد يحدث غدا ، الحــق فى أن تقع فريسة للآلام من كل نوع » .

حدثت فترة صمت طويلة .

وقال الهمجى أخيرا : « أنا أطالب بكل ذلك » .

فرفع مصطفى موند كتفيه وقال : « أهلا بك » !

الفصل السابع عشر

كان الباب نصف مفتوح . فدخلا . « جون ! » وجاء من الحمام صوت واهن يدل على أن صاحبه مريض جدا .

فنادى هلمولتز : « هل فى الأمر شىء ؟ » .

لم يتلق اى رد ، وتكرر الصوت مرتين . ثم حدث صمت . ثم فتح باب الحمام ، وخرج الهمجى شاحبا جدا .

فصاح هلمولتز : « هيه يا جون ، أرى أنه مريض جدا » .

ـ **فسأله برنارد :** « هل أكلت شيئا أضر بك ؟ » .

فهز الهمجى رأسه : « لقد أكلت المدنية » .

ـ « مـاذا ؟ » .

ـ « لقد سممتنى » . ثم أضاف بصوت واهن : « وبعد ذلك أكلت آثامى » .

ـ « أجل ، ولكن ما الذى بالضبط .. أعنى ، كيف حالك الآن » .

ـ « الآن ، شفيت تماما . فقد شربت بعض الموستارد مع شىء من المـاء » .

فتطلع اليه الاثنان بدهشـة **وسـأله برنارد :** « أتقصد أن تقول انك فعلت ذلك عن عمد » ؟

ـ « انها الطريقة التى يستعملها الهنود لعلاج أنفسهم » جلس ، وتنهد ، ومر بيده على جبهتـه **وقـال :** « سأرتاح لبضع دقائق . فأنا متعب جدا » .

فقال هلمولتز : « حسن ، لا يدهشنى ذلك » . وبعد فترة صـمت **قـال :** « لقد جئنـا لنقول لك وداعـا » . وواصل كلامه بنبرة أخرى « سوف نطير غدا صباحا » .

ـ « أجل سوف نطير صباحا » قال برنارد ذلك، وقد لاحظ الهمجى على وجهه تعبيرا جديدا من الاستسلام . « وبالمناسبة ، يا جون » واصل كلامه وهو ينحنى الى الأمام فى كرسيه ويضع يده على ركبة الهمجى : « أود أن أعبر لك عن خالص أسفى لما بدر منى بالأمس » . واحمر وجهه ، « كم أنا خجل » وواصل كلامه بالرغم من اضطراب صوته : « حقيقة كم أنا ... » .

قاطعه الهمجى بسرعة ، وأمسك بيده ، وضغطها بحنان . وبعد فترة صمت قصيرة واصل برنارد كلامه « لقد كان هلمولتز نعم العون لى . ولولا وجوده ، لكنت ... » .

فقال هلمولتز محتجا : « وبعدها معك » .

حدثت فترة صمت ، وبالرغم من حزنهم .. لأن حزنهم هذا كان علامة حبهم لبعضهم .. فلقد كانوا سعداء !

ـ « لقد ذهبت لمقابلة الحاكم هذا الصباح » ..

قال الهمجى اخيرا :

ـ « لمــاذا » ؟

ـ « لأطلب منه اذا كان من الممكن أن اذهب الى الجزر معكم » .

ـ « وماذا قال ؟ » .. سأله هلمولتز باهتمام.

فهز الهمجى راسه **وقــال** : « لم يســمح لى بذلك » .

ـ « لمــاذا » ؟

ـ « قال انه يريدنى أن أستمر فى التجربة ، لكننى لا ارغب » قال الهمجى ذلك بغضب مفاجىء . « لا أريد أن استمر فى تلك التجربة . حتى من اجل خاطر كل حكام العالم ، ســوف اهرب غدا » .

فسأله الآخران : « لكن أين » ؟

فهــز الهمجى رأســه : « لا أدرى . الى اى مكان . لا يهمنى طالمــا سأكون وحدى » .

كان الخط الجوى لطائرات الهليوكوبتر من لندن الى بورتسموث محددا بصف من الأبراج الضوئية لهداية الطيران الليلى . أما الخط العكسى من بورتسموث الى لندن فكان يسير موازيا فى غير انتظام على مبعدة ناحية الغرب ، ومحددا أيضا بمثل هذه الأبراج . وحدث أن وقعت حادثة فظيعة . فقرروا نقل خط بورتسموث لعدة كيلو مترات أكثر ناحية الغرب فى منطقة ما فى مقاطعة « سارى » . وأصبح الخط القديم لا يبعد أكثر من ستة أو سبعة كيلو مترات . وكانت تلك المسافة قصيرة جدا بالنسبة للطيارين المهملين خاصة اذا تناولوا نصف جرام زيادة . كان المقر الخاص بالخط القديم محددا بأربعة أبراج ضوئية مهجورة . والسماء فوقها خالية ساكنة .

اختار الهمجى لسكناه المنعزلة واحدة من هذه البنايات تقع على قمة تل . كان المبنى متينا وبحالة جيدة ـ ومريحا جدا ـ وقد اعتقد الهمجى عندما دار فى المكان لأول مرة ، أن المبنى مريح وحضارى

جدا . وهدأ من روع نفسه ، بأن قطع على نفسه عهدا بأن تكون حياته حياة خشنة مع الالتزام الصارم جدا .

ومرت الليلة الأولى هناك بلا نوم ، وقضى ساعات الليل المظلمة راكعا على ركبتيه ، يبتهل لكل الآلهة الذين سمع عنهم أيام طفولته هناك فى معسكر الحجز . وكان من وقت لآخر يفرد ذراعيه ويبتهل : « أوه ، فلتغفر لى » .. كان يبتهل والدموع والعرق يفيضان على وجهه . « أوه ، فلتغفر لى ! أوه ، طهرنى ! ساعدنى على أن أكون خيرا ! » ويظل يردد ذلك مرات ومرات ، حتى يكاد يغمى عليه من الألم .

عندما جاء الصباح ، شعر بأنه يستحق الحياة فى هذا المكان ، أجل ، رغم أنه مازالت هناك بعض ألواح الزجاج فى معظم النوافذ ، ورغم أن المنظر كان جميلا من أعلى . والسبب المباشر لاختياره البرج أنه قد أصبح مبررا ملزما لعدم ذهابه الى أى مكان

آخر . لقد قرر أن يعيش هنا لأن المنظر كان فى منتهى الجمال ، ويخيل اليك أيضا أنك حين تنظر من فوق ذلك المكان المرتفع كأنك تتطلع الى فردوس رائع . لكن هل يستحق أن ينعم بهذا المنظر الرائع يوميا وكل ساعة ؟ ان ما كان يستحقه هو العيش فى حفرة صماء داخل الأرض . ورغم أنه كان متخشبا ومتألما بسبب آلامه الطويلة خلال الليل ، الا أنه صعد الى شرفة البرج ، وتطلع الى الشمس المشرقة على كل الأرض . كانت حدود المكان شمالا مجموعة من التلال تسمى « هوج باك » . أما الوادى الذى كان يفصل هذه التلال عن التل الرملى الذى يقع عليه البرج ، فكانت توجد به قرية متواضعة بها مزرعة للدواجن ، تتكون من تسعة أدوار فقط . وعلى الجانب الآخر من البرج ، تجاه الجنوب ، فكانت عبارة عن منحدرات مليئة بالحشائش البرية والشجيرات الواطئة بعدها توجد سلسلة من البحيرات .

كانت تلك المنحدرات هى التى جذبت الهمجى الى هذا البرج . فقد كان المنظر رائعا جدا خاصة

بالنسبة لعين تعودت على رؤية الصحراء الأمريكية المقفرة . الغابات ، المساحات الممتدة المفتوحة من الشجيرات ذات الزهور الصفراء ، أطراف الأشجار العالية ، لمعان البحيرات وأشجار الصفصاف تميل عليها ، زنابق الماء .. الى كل هذا الجمال . بالاضافة الى الهدوء !

مرت عليه أيام بأكملها لم ير فيها انسانا .. كان البرج يبعد بمقدار ربع ساعة طيرانا عن برج « تشارنج تى » ، لكن تلال مالبيز كانت أكثر قفرا من هذا المكان ، والجموع التى كانت تغادر لندن يوميا بقصد لعب الجولف ، أو التنس .. لم يكن يوجد نواد للجولف بالجوار القريب . وكان أقرب الملاعب الصناعية للتنس يبعد عدة أميال . لقد كانت الزهور والمنظر العام هى سبب الانجذاب لهذا المكان . ولذا فلم يكن هناك مبرر لأى أحد أن يحضر الى هنا ، لا أحد .

وقد قضى الهمجى أيامه الأولى وحده دون أن يزعجه أحد .

أما بالنسبة للنقود التى تلقاها جون عندما وصل فى البداية ، كمصروف شخصى . فقد كان صرف معظمها على متطلباته لحياته الجديدة . أحصى الباقى معه . وتمنى أن يكون كافيا لكى يعوله خلال فترة الشتاء . أما فى الربيع فسوف تثمر حديقته بما فيه الكفاية ولن يكون فى حاجة لأحد . هذا بالاضافة لوجود بعض الحيوانات البرية ، فقد رأى العديد من الأرانب ، وبطا بريا فى البحيرات . فشرع فى العمل فورا ليصنع قوسا وسهاما .

كانت هناك أشجار فتية مستقيمة فى رشاقة ، فى غابة قريبة من البرج . فقطع واحدة وجهز منها ساقا مستقيمة طولها ستة أقدام دون أفرع . ونزع عنها اللحاء الأبيض وأخذ يبريها من الطرفين بعناية شديدة حتى أصبحت فى مثل طوله ، صلبة من الوسط لأنها أسمك ، ومرنة مثل الزمبرك الحديدى من عند الطرفين .

بعد تلك الأسابيع التى قضاها فى كسل تام بلندن ، حيث لا شىء يفعله ، وكلما احتاج الى شىء

ما كان عليه الا أن يضغط على جرس أو يدير مقبضا ، كم كان مبتهجا كل الابتهاج لأنه يفعل شيئا يتطلب المهارة والصبر .

وما كاد ينتهى من عمل القوس ، حتى اكتشف انه يغنى .. يغنى ! فتوقف ، لانه شعر بذنب كبير . فقبل كل شىء ، هو لم يأت هنا لكى يغنى أو يمتع نفسه . انما كان الهدف هو الهروب من الارتباط المقزز بتلك الحياة المتحضرة ، ومن المفروض أن تكون حياته هنا نقية طيبة . واكتشف انه نسى ما قطعه على نفسه من عهد بأن يتذكر المسكينة ليندا ، وقسوته عليها فى لحظاتها الأخيرة . لقد جاء الى هنا ليعبر عن عميق حزنه . وها هو يجلس سعيدا يصنع قوسه وسهامه ، ويغنى ، يغنى بالفعل !

ذهب الى الداخل ، وفتح علبه الموستارد ، واضاف اليها شيئا من الماء ليغليها .

بعد نصف ساعة ، حدث ان جاء ثلاثة عمال من فصيلة دلتا سالب ، يقودون سيارتهم بالقرب من

التل ، وأصابتهم الدهشة لرؤيتهم شابا يقف بالقرب من ذلك البرج المهجور . نصفه عار ويضرب نفسه بسوط به عقد . كان ظهره مليئا بخطوط حمراء رفيعة ، تتساقط منها قطرات من الدم . توقف سائق العربة على جانب الطريق ، وحملق هو وزميلاه وأفواههم مفتوحة فى ذلك المنظر الغريب . واحد ، اثنان ، ثلاثة .. أخذوا يحصون الضربات ، بعد الضربة الثامنة ، توقف الرجل عن عقابه لنفسه واندفع جريا الى حافة الغابة حيث بدا عليه التعب ، وبعد أن استراح التقط السوط ثانية وبدأ يضرب نفسه مرة ثانية . تسعة ، عشرة ، أحد عشر ، اثنى عشر ....

ـ « أوه ، فورد ! » همس السائق . وكذلك فعل الآخران . وقالوا : « آه يا فورد » !

بعد ثلاثة أيام ، تقاطر المراسلون ، مثل تقاطر الطيور على جثة ميتة .

أصبح القوس صلبا وجاهزا . بعد أن جففه

على نار هادئة لخشب أخضر . وانشغل فى اعداد سهامه . فجفف ثلاثين عصا زود أحد أطرافها بمسمار حاد ، وجعل الطرف الثانى على شكل حرف V حتى تستقر على خيط القوس . كان ذات ليلة قد قام بزيارة مزرعة الدواجن ، وأصبح لديه من الريش الآن ما يكفى حاجته . وبينما كان مشغولا فى تثبيت الريش على أول سهامه ، وصل أول المراسلين . تسلل فى هدوء بحذائه الكاوتش حتى أصبح خلفه .

وقال : « صباح الخير يا سيد همجى . أنا مراسل جريدة « ذى أورلى راديو » . قفز الهمجى واقفا على قدميه من أثر المفاجأة ، كما لو أن ثعبانا لدغه ، وبعثر السهام والريش فى كل الاتجاهات .

فقال المراسل : « أرجو المعذرة ، أنا آسف » . ولمس قبعته .. وهى قبعة طويلة من معدن خفيف بها جهاز ارسال . **وقال :** « أرجو المعذرة لاننى لم

أخلعها ، فهى ثقيلة الى حد ما . وكما كنت أقول لك ، أنا مراسل جريدة « ذى أورلى ... » .

فسأله الهمجى بعنف : « ماذا تريد » ؟

ابتسم المراسل ابتسامة ودودة للغاية ، **وقال :** « حسن ، ان قراءنا سيكونون فى منتهى الشوق لبعض كلمات منك ، يا سيد همجى . » . وابتسم ابتسامة بالغة السعادة على غير العادة .. « مجرد كلمات بسيطة منك . يا سيد همجى » .. وعلى الفور كان قد أخرج سلكا من جيبه ، وأوصله بجهاز الارسال ، وأدار مفتاحا صدر عنه طنين خافت . **وقال :** « هالو » عبر ميكرفون تدلى بلمسة من يده من القبعة وأصبح أمام فمه . وفجأة دق جرس داخل القبعة « هل أنت ادزل » ؟ ... « بريمو ميلون » يتحدث . لقد وفقت فى العثور عليه . انه هنا . والآن يا سيد همجى ، ألا تتفضل وتمسك بالميكرفون ، وتقول بضع كلمات قليلة ؟ » .. ونظر الى الهمجى بابتسامة كلها زهو **وأكمل :** « **مجرد** أن تقول للقراء

لماذا جئت الى هنا . ما الذى جعلك تغادر لندن (استمر يا ادزل) .. هكذا فجأه . وتحكى ، بالطبع عن السوط ؟ (جفل الهمجى . وقال لنفسه . كيف تسنى لهم أن يعرفوا حكاية السوط) ثم شيئا عن المدنية . وعن « رأيك فى الفتاة المتحضرة .. مجرد كلمات قليلة ، قليلة جدا ... » .

واستجاب له الهمجى ، لكن ليس كما توقع السيد ميلون ، فلم ينطق بأكثر من كلمتين ، وبعد ذلك ظل يرددهما . « اخرج من هنا ! اخرج من هنا ! » وامسك بالمراسل من كتفيه ، ولفه حول نفسه وبكل قوة ومهارة بطل من أبطال كرة القدم ، ركله بعنف فى مؤخرته .

بعد مضى ثمانى دقائق ، كانت هناك طبعة جديدة من جريدة « ذى أورلى راديو » تباع فى شوارع لندن ، وعلى صدرها عنوان بالأحرف الكبيرة « مراسل أورلى راديو يركل فى مؤخرته من همجى مجهول » .

وبالرغم مما عاناه ميلون ، فقد وصل أربعة مراسلين آخرين بعد الظهر الى البرج . واستقبل كلا منهم بأعنف مما استقبل به زميله السابق .

وصاح أحد المراسلين من على بعد مسافة آمنة وهو ما يزال يدلك آثار الركلة التى نالته فى مكان حساس : « أيها الرجل المجنون ، لماذا لا تتناول السوما ؟ فمن الممكن أن تجعلك أفضل » ؟

ـ « أوه ، هل ترى ذلك ؟ » .. قال الهمجى ذلك وهو يلتقط عصا غليظة ويتحرك ناحيته .. فاندفع المراسل الى طائرته الهليوكوبتر .

بعد ذلك انقطعوا عن الهمجى لفترة وتركوه فى هدوء . ثم جاءت بضع طائرات هليوكوبتر وحلقت فوق البرج . فأطلق سهما لأقرب طائرة فاخترقت الأرضية المعدنية الرقيقة لكابينة القيادة وسمعت صرخة ألم ، وانطلقت الطائرة الى أعلى بأقصى سرعتها .

بعد ذلك ظلت الطائرات الأخرى محافظة على ارتفاعها خشية أن تصاب . وشرع يحفر خندقا فى الحديقة ولم يعرهم مزيدا من الاهتمام . ويبدو انهم ملوا من الانتظار ، طالما لم يطرأ أى شىء جديد ، فانطلقوا بعيدا .

كان الجو حارا جدا ، ورعد يدوى فى الجو ، كان قد حفر طوال فترة الصباح ، وتمدد على الأرض ليستريح . وفجأة طافت لينينا بخياله ، وكأنها موجودة معه فعلا فى البرج ، وتقول له « يا عزيزى ! » وكانت حلوة ، رائحتها جذابة .

قفز واقفا على قدميه وانطلق يجرى بعيدا عن البيت . وكانت توجد على مشارف الغابة كومة من الشجيرات الجافة ذات الأشواك ، فألقى بنفسه فى غمارها ، فاخترقت جسده بألم . حاول أن يفكر فى « ليندا » المسكينة ، التى قطع على نفسه عهدا بأن يتذكرها . لكنه ظل فى أسر لينينا التى ملأت كل تفكيره . لينينا التى وعد بأن ينساها . حتى خلال

الأشـــواك ووخزها ، كان يشعر بها ، شعورا حقيقيا لا يمكن مقاومته . وصوتها يرن فى اذنيه . « ... اوه يا حبيبى ، يا حبيبى » .

كان السوط معلقا على مسمار بجوار الباب ، جاهزا للاستعمال لو جاء مراسلون جدد . وفى ثورة غضب اندفع الهمجى عائدا الى البيت ، وامســك السوط ، وفرقع به فى الهواء . وتركت العقد على جسمه علامات .

ومن مكمنه الخفى فى الغابة على بعد ثلاثمائة متر ، استطاع « داروين بونابرت » المصــور التليفزيونى الشهير أن يراقب المشهد كله . وقد وضــع الصبر والمهارة نصب عينيه . فقد قضى ثلاثة أيام قابعــا داخل جذع شجرة صناعية ، ثلاث ليال يزحف على بطنه خــلال الأعشــاب الطويلة ليخفى الميكروفونات داخل الشجيرات الشــوكية ، ويدفن الأســلاك فى الرمل الناعم الأسود . والآن حلت اللحظة الحاسمة . بعد اثنتين وسبعين ساعة من المعاناة الفظيعة .. أجل

حلت اللحظة الحاسمة ، هكذا فكر « داروين بونابرت » وهو يتحرك بين أدواته ، أعظم لحظة منذ أن عرض فيلمه المثير « زواج الغوريلا » . **وقال لنفسه :** « رائع ! » عندما بدأ الهمجى يمارس عرضه المثير ، (رائع !) . وواظب على أن تكون آلة تصويره التى تلتقط من على بعد ، موجهة ناحية الهمجى ، وجعلها تعمل فى أكفأ وضع لالتقاط الصور . المقربة للوجه ، وهو يتلوى من الغضب والألم . (شىء مدهش ! » ، ثم غير ايقاع التصوير لمدة نصف دقيقة ليصير بطيئا (ومنى نفسه أن يحدث ذلك تأثيرا كوميديا على المشاهدين) . أثناء ذلك كان يسمع صوت ضرب السياط والأنات ، والكلمات الشرسة المجنونة التى كانت تسجل على شريط الصوت الموجود أسفل شريط الصورة . كما انه كان مبتهجا لسماع أصوات الطيور البرية .. فى الفترات التى يتوقف فيها صوت الهمجى ، وكم كان يتمنى أن يستدير حتى يستطيع أخذ لقطة مقربة للدماء وهى تسيل من على ظهره .. وبالفعل (ويالها من ضربة حظ) فقد

استدار الهمجى ، وكان باستطاعته أن يلتقط لقطة مقربة محكمة .

وقال لنفسه عندما انتهى كل شيء : « عظيم ، شيء غير معقول ، حقيقة شيء رائع » ثم مسح وجهه بمنديله . عندما انتهوا من اعداد الفيلم فى الاستوديو، كان بالفعل شيئا رائعا .

بعد اثنى عشر يوما ، كان فيلم « همجى من ساورى » يعرض فى كل دور عرض الدرجة الأولى فى غرب أوربا .

كان تأثير عرض فيلم «داروين بونابرت » تأثيرا فوريا وعظيما ، وبعد ظهر اليوم التالى للعرض الأول للفيلم ، تعكر صفو هدوء وعزلة « جون » بوصول عدد هائل من طائرات الهليوكوبتر الى المنطقة . كان يحفر فى الحديقة ـ يحفر ، وهو يفكر فى نفس الوقت فى الموت . الموت ـ وأخذ يرفع التراب بجاروفه مرة، ومرة ، وهكذا . وتذكر قول ماكبث . كل أيامنا الماضية اضاءت لنا طريق الموت بحماقة . ثم رفع

جاروفا آخر . وتساءل لماذا ماتت ليندا ؟ لماذا تحتم عليها أن تعيش حياة أقل من مستوى البشر ثم أخيرا .. وانتابته رعدة .

فى تلك اللحظة غدت السماء مظلمة . وفجأة أصبح فى الظل . كان هناك شىء بينه وبين الشمس. تطلع الى أعلى فى دهشة ، حيث كان يحفر ويفكر أيضا ، فرأى فوقه سحابة من الطائرات تحوم فى الهواء . كانت مثل الحشرات الضارة المعلقة فى الهواء فوق رأسه تماما فى هذه اللحظة ، ثم نزلت كلها حوله بين الأعشاب الطويلة والشجيرات القصيرة . ومن داخل هذه الحشرات العملاقة هبط رجال يرتدون بنطلونات بيضاء من صوف صناعى ، ونساء يرتدين بنطلونات قصيرة من القطيفة وبلوزات من الحرير الصناعى .. من كل طائرة اثنان .. وخلال دقائق قليلة كان يوجد العشرات منهم يحيطون بالبرج فى شكل دائرة ، يحملقون ، يلتقطون الصور ، يلقون بالمكسرات والحلويات ، كما لو أنه حيوان فى حديقة الحيوان . وفى كل لحظة ، كانوا يتدفقون من جميع

الجهات فى سبيل لا ينقطع ، ويزداد عددهم أكثر وأكثر .

بدأ الهمجى يتراجع فى هذه اللحظة ، مثل حيوان وقع فى أسر الصيادين ، ووقف مستندا الى حائط المبنى يتطلع من وجه الى وجه فى ذعر صامت مثل رجل فاقد الوعى .

وصاح : » ابعدوا عن هنا » !

لقد تكلم الحيوان . وضحك الجمع وصفقوا بأيديهم . « رائع ، أيها الهمجى العزيز ! » .. وخلال تلك الضجة سمع صيحات تطالب بـ « السوط السوط ! السوط » !

آذته هذه الكلمات ودفعته لأن يقوم بفعل شىء ما . فأمسك بحزمة من الحبال ذات العقد ، التى كانت معلقة خلف الباب وأخذ يهزها فى وجه معذبيه .

ضجوا من الضحك .

تقدم نحوهم بهيئته المرعبة . وصرخت امراة من الخوف . وتقهقروا قليلا الى الوراء ، ثم وقفوا ثابتين . شجعهم على ذلك ، كثرة عددهم الأمر الذى لم يكن الهمجى يتوقعه .

ـ « لماذا لا تتركونى وحدى ؟ » قال ذلك من خلال دموعه الغاضبة . ثم سألهم « ماذا تريدون منى ؟ » وأخذ يتنقل ببصره فى وجوههم المبتسمة الغبية .

ـ « السوط » . اجابت مئات الأصوات فى صيحة واحدة . « دعنا نراك تقوم بمشهد الجلد » .

ثم ، رددوا ، جميعا وبصوت بطىء عميق ، « نحن ـ نريد ـ الـ ـ سوط » . وصاحت مجموعة أخرى فى آخر الصف ، « نحن ـ نريد ـ الـ ـ سوط » .

والتقط آخرون الصيحة ، وأخذت الجملة تتردد مرات ومرات بصوت أعلى وأعلى ، حتى لم

تعد هناك كلمات أخرى تقال سوى « نحن ـ نريد ـ الـ ـ سوط » .

فى هذه اللحظة وصلت طائرة هيلوكوبتر أخرى. عندما حطت وفتح الباب ، نزل منها أولا رجل أحمر الوجه ، ثم امرأة شابة ترتدى بنطلونا قصيرا من القطيفة الخضراء الصناعية ، وبلوزة بيضاء وقبعة انيقة .

وعندما رأى الهمجى وجه المرأة ، شحب وجهه وتراجع الى الوراء .

وقفت المرأة الشابة ، تبتسم له ـ ابتسامة غير واضحة ، ابتسامة كان القصد منها أن تهدئه . ومرت اللحظات . وتحركت شفتاها . كانت تقول شيئا ، لكن صوتها غاص فى صيحات الجمع .

« نحن ـ نريد ـ الـ ـ سوط ! نحن ـ نريد ـ الـ ـ سوط ! » .

ضغطت المرأة بكلتا يديها على جنبها الأيسر ، وظهر على وجهها الذى يشبه وجه الدمية الجميلة ،

تعبير حزين غير مألوف . وغدت عيناها الزرقاوان أكثر اتساعا وبريقا ، وفجأة انحدرت دمعتان على خديها ، تحرك فمها مرة ثانية ، رغم أن كلماتها لم تسمع . ثم بحركة سريعة متعاطفة مدت ذراعيها نحو الهمجى ، وتقدمت ناحيته .

وتعالت الصيحات ، « نحن نريد ـ الـ ـ سوط ! نحن ـ نريد ... » .

وفجأة تحقق ما كان يطلبونه .

فقد اندفع الهمجى ناحيتها كالمجنون وهو يصيح : « العاهرة ! » وبدأ يضربها بالسوط ذى العقد الصغيرة .

استدارت تجرى لكى تتفادى ضرباته ، لكن قدمها تعرقلت فى جذور بعض الشجيرات وسقطت على وجهها بين الأعشاب الطويلة . فصرخت : « هنرى ، هنرى ! » لكن رفيقها ذا الوجه الأحمر كان قد فر واختبأ خلف الهليوكوبتر .

واندفع الجمع ناحية المكان الذى يقف فيه الهمجى ، وهو ينهال ضربا على ذلك الجسد الرقيق الملقى بين الأعشاب .

أخذ الجميع بهذا المنظر الغريب المفزع المؤلم ، فبدأوا يقلدون حركاته المجنونة ، وقد دفعهم الى ذلك عادة التعاون ، وتلك الرغبة فى تقليد الآخرين التى غرست فى أعماقهم أثناء تكيفهم ، فأخذ كل منهم يضرب الآخر مثلما يفعل الهمجى بضرب نفسه . أو بضرب ذلك الجسد الهزيل الذى يتلوى بين الأعشاب عند قدميه .

وأخذ الهمجى يردد : « اقتلوها ، اقتلوها ، اقتلوها » .

وفجأة شرع أحدهم يغنى « أورجى ـ بورجى » وما أن سمعوا الأغنية ، حتى شرعوا يغنون ، ثم بدأ الرقص . أورجى ـ بورجى . حلقات ، حلقات ، حلقات ، وكل منهم يضرب الآخر على ايقاع الأغنية . أورجى ـ بورجى .. !

كان الوقت بعد منتصف الليل ؛ عندما طارت آخر هليوكوبتر . وارتمى الهمجى نائما بين الأعشاب من تأثير السوما الغبى ، ومن فرط ما بذله من جهد . وعندما استيقظ كانت الشمس فى كبد السماء . ظل ممددا للحظة ـ وفجأة تذكر ـ كل شىء .

ـ « أوه ، يا الهى ، يا الهى ! » وغطى عينيه بيديه . فى ذلك المساء ، أظلمت السماء بطائرات الهليوكوبتر المتجهة الى مبنى البرج فى سيل لا ينتهى. ونشرت تفاصيل ما حدث بالأمس فى كل الجرائد .

ـ « أيها الهمجى ! » نادى أول من وصلوا عندما هبطوا من طائراتهم . « أيها السيد الهمجى » !

كان باب المبنى نصف مفتوح . دفعوا الباب على مصراعيه وساروا فى العتمة الى الداخل . واستطاعوا أن يروا عبر الباكية الموجودة على الجانب الآخر من الحجرة ـ السلالم التى تؤدى الى الأدوار العلوية ـ وتحت قمة الباكية تماما كانت تتدلى قدمان .

« انه ، الهمجى » !

وببطء ، ببطء شديد ، مثل طرفى ابرة البوصلة ، كانت القدمان ، تتحركان ناحية اليمين ، الشمال ، الشمال الشرقى ، الشرق ، الجنوب الشرقى ، الجنوب الغربى ، ثم توقفتا ، وبعد لحظات قليلة ، تحركتا ببطء ، ببطء شديد ، الى العكس تجاه اليسار . تجاه الجنوب ، الجنوب الغربى ، الجنوب الشرقى ، الشرق ...

تم التحميل من مكتبتي